

sharif mahmoud

غزو الأحباش لليمن

بين الرواية التاريخية والآثار المكتشفة

الأستاذ الدكتور

عبد الرحمن إبراهيم الفنتوسي

م.م

نجلاء محمد محمود



دار البهية ناشرون وموزعون

قال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ
رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ
جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ ﴿١١﴾

غزو الاحباش لليمن بين الرواية التاريخية
والآثار المكتشفة

غزو الأحباش لليمن بين الرواية التاريخية والآثار المكتشفة

الأستاذ الدكتور

م.م

عبد الرحمن إبراهيم الغنطوسي

نجلاء محمد محمود

الطبعة الأولى

2015 م - 1436 هـ



دار الكتب العلمية
للنشر والتوزيع

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(2014/8/3852)

956.7001

محمود، نجلاء محمد

غزو الأحباش لليمن بين الرواية التاريخية والأثار المكتشفة / نجلاء محمد محمود،

عبد الرحمن إبراهيم الغنطوسي، عمان، دار الكندي للنشر والتوزيع، 2014

(ص.)

ر.أ. 2014/8/3852

الواصفات: / تاريخ اليمن // التاريخ العربي /

* لا يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى منشئه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

جميع الحقوق محفوظة

Copyright

All rights reserved

الطبعة الأولى

2015م / 1436هـ

يحظر نشر أو ترجمة هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تخزين مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي وجه، أو بأي طريقة، سواء أكانت إلكترونية أم ميكانيكية، أو بالتصوير، أو بالتسجيل، أو بأي طريقة أخرى، إلا بموافقة الناشر الخطية، وخلاف ذلك يعرض لمخاللة المسؤولية.

No part of this book may be published, translated, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means, electronic or mechanical, including photocopying, recording or using any other form without acquiring the written approval from the publisher. Otherwise, the infractor shall be subject to the penalty of law.



عمان - وسط البلد - تلفاكس : 962 6 4640597

ص.ب 184248 عمان 11118 الأردن

dar_alkindi@yahoo.com

ISBN: 978-9957-599-01-0

الموضوع	الصفحة
المقدمة.....	11
الفصل الأول	
اليمن عبر المراحل التاريخية	
المبحث الأول: المرويات التاريخية في اليمن.....	11
المبحث الثاني: الأطماع الأجنبية في اليمن.....	17
المبحث الثالث: الممالك اليمنية القديمة.....	22
أولاً: الدولة المعينية.....	22
ثانياً: مملكة قتبان.....	25
ثالثاً: الدولة السبئية.....	27
الفصل الثاني	
العلاقات اليمنية الحبشية عبر العصور	
المبحث الأول: الحبشة وقيام مملكة اكسوم.....	33
المبحث الثاني: التوغل الحبشي في اليمن.....	38
المبحث الثالث: الاحتلال الحبشي الأول.....	45
الفصل الثالث	
الاحتلال الحبشي لليمن	
المبحث الأول: الصراعات الدينية في اليمن.....	53
المبحث الثاني: الأوضاع السياسية في اليمن.....	61
المبحث الثالث: حملة الأحباش الثانية على اليمن.....	69
الفصل الرابع	
اليمن في ظل الأحباش	
المبحث الأول: اليمن في حكم الأحباش.....	81
المبحث الثاني: حكم أبرهة لليمن.....	87
المبحث الثالث: أهم أعمال أبرهة.....	96
الفصل الخامس	
المبحث الأول: الدوافع والأسباب لاستحواذ أبرهة على مكة.....	105

الموضوع	الصفحة
أ) دوافع دينية.....	105
ب) دوافع سياسية.....	106
ج) دوافع اقتصادية.....	108
المبحث الثاني: حملة أبرهة في المرويات التاريخية.....	113
المبحث الثالث: موقف القبائل العربية من حملة أبرهة.....	119
المبحث الرابع: خروج الأحباش من اليمن.....	128
الخاتمة.....	137
المراجع.....	139

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن آله،
واشهد إن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، واشهد إن محمدا عبده ورسوله، صلوات
ربي وسلامه عليه، وعلى آله الطيبين، وصحابته الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم
الدين.

أما بعد.....

فقد شاءت إرادة الله سبحانه وتعالى أن اكتب في موضوع يمزج بين روايات
المؤرخين وبين الآثار التي اكتشفتها معاول العلماء الذين أراحوا عنها ركام السنين
ليستنطقوها ولتكن شاهداً على عصر عرفناه من مرويات أمهات الكتب لذا فقد جاء
عنوان هذا الكتاب (غزو الأحباش لليمن بين الرواية التاريخية والآثار المكتشفة) وإذا
يعدو سبب اختياري لهذا الموضوع في أول الأمر إلا لشغفي وتعلقي بتاريخ امتنا الذي
كان ولم يزل عرضة للطامعين فأردت أن اعرف هل إن الأحباش أعداء أم هم عقاب
رمى الله بهم ملك من ملوك العرب لأنه قتل المؤمنين، إلا أنني اندهشت أمام حقائق
تغاضى عنها المؤرخون وطمسوها في متون كتبهم وروايتهم التي ساقوها لتوثيق
تلك الحقبة الناصعة من تاريخ امتنا المجيد وأعزو السبب في ذلك إلى امرين:

الأول: لبعد الفترة التاريخية بين تدوين الحدث وبين صناعه.

الثاني: لطبيعة المؤرخين في تلك الفترة الميالة إلى مساندة السدين
والانتقاص من تاريخ العرب لأنه حسب زعمهم تاريخ (جاهلية).

ثم أكن أدرك وأنا أقدم على تدوين هذا العمل أن تواجهني هذا الكم الكبير
من الصعوبات التي حالت دون أن يكون هذا العمل يرقى إلى درجة الكمال إذ رأيت
بونا شاسعاً بين روايات المؤرخين وبين ما كشفت عنه التنقيبات الحديثة من
اختلاف في أسماء وتواريخ وأسباب ومدن وكان الروايات التاريخية أقحمت بعضها

ببعض في سبيل تخطى هذه الفترة التاريخية هذا من جانب ومن جانب آخر وجدت
إن الكتب التي تتحدث عن المكتشفات الأثرية هذا المجال الحصول عليها.

وإزاء ذلك فلم تكن مهمتي سهلة إلا إن حبي لهذا الموضوع والذي اشعر أنه
شيء جديد لذا أصرت على إكمال هذه الدراسة والتي احتوت على:

مقدمة وخمسة أفصل إذ تحدثنا في كل فصل عن مرحلة تاريخية مهمة
توثق لهم الأحداث التي مرت ببلاد اليمن أبان ظهور مملكة أكسوم التي تمكنت في
نهاية المطاف من الاستيلاء على هذه الأراضي العربية الغنية بثروات نجد بعد ذلك
إنها عمدت على الزحف نحو قلب الجزيرة العربية المتمثل باحتلالها للكعبة المشرفة
في ظل حكم أبرهة الأشرم هذا وهناك الكثير من الأحداث التي وجدناها في سياق
هذا الموضوع.

المؤلفان

الفصل الأول (1)

اليمن عبر المراحل التاريخية

* المبحث الأول / المرويات التاريخية في اليمن

** المبحث الثاني / الأطماع الأجنبية في اليمن

*** المبحث الثالث / الممالك اليمنية القديمة

المبحث الأول

المطويات التاريخية في اليمن

بسم الله الرحمن الرحيم

{لَقَدْ كَانَ لَنَسَبٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جِئَتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبِّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ لَشِيءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ * ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ تُجَازِي إلَّا الْكَفُورَ * وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَاهِرَةً وَهَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيًا وَأَيَّامًا آمِنِينَ * فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ * }

صدق الله العظيم

تقع اليمن في الطرف الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربية وتقطعها من الشمال إلى الجنوب سلسلتان جبليتان تحصران بينهما هضبة عريضة ويتحدر سطحها نحو البحر بشدة تاركاً سهلاً ساحلياً ضيقاً يقطعه عدد من الوديان التي تصب في البحر⁽¹⁾ وأمطارها موسمية وآخره تكفي أهلها للقيام بنشاط زراعي يدر عليهم إنتاج وثير ميزها عن سواها من البلاد الأخرى فسميت اليمن (الخضراء لكثرة أشجارها وثمارها وزروعها والبحر مطيف بها من المشرق إلى الجنوب فراجعاً إلى الغرب)⁽²⁾ وقد قسمت اليمن إلى أربعة أقسام (صنعاء ومخاليقها والجند ومخاليقها وعك ومخاليقها يعني تهامة وحضرموت ومخاليقها)⁽³⁾ وقامت على

(1) العلي، صالح/ أحمد/ محاضرات في تاريخ العرب، دار الحرية للطباعة (بغداد 1983)، ص 17.

(2) ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت ابن عبد الله الرومي البغدادي، معجم البلدان، دار صادر (بيروت 2010)، ج 5، ص 447.

(3) البرازي، أحمد بن عبد الله، تاريخ ملجنة صنعاء، تحقيق حسين بن عبد الله، السهمي، (صنعاء 1981)، ص 5.

أرض اليمن منذ أقدم العصور دول وممالك متعددة ومتفاوتة في الحجم والنفوذ كانت على مستوى متقدم الرقي والتمدن وسبقت غيرها من الحضارات الأخرى بل إن الكثير من مظاهر الحضارة عند بعض الأمم هي مقتبسة من حضارة اليمن (وقد سبق عرب الجنوب إخوانهم من أهل الشمال في بلوغ ذروة المدينة فانشئوا حضارة وطنية راقية وأما عرب الشمال فلم يصلوا إلى مسرح الشؤون الدولية حتى ظهور الإسلام⁽¹⁾) ففي هذا الإقليم الجنوبي من بلاد العرب قامت حضارة يعود أقدم ما بلغنا من أخبارها إلى القرن العاشر أو الحادي عشر قبل الميلاد ففي تلك العهود ظهرت وعاشت ممالك في فترات متداخلة ومتعاقبة هي معين وقتبان وحضرموت وسبا وكانت تلك الممالك على الأغلب متعاصرة ومتعاونة ومتنافسة تناظر كل واحدة منها الأخرى فتستقل بنفسها تارة وتدين بالولاء لبعض جاراتها تارة أخرى⁽²⁾، وقد اختلفت روايات الإخباريين العرب.

من بداية نشوء الحضارة واستيطان الناس في اليمن إلى عدة آراء متباينة وسبب ذلك يعزى لعدم ميل العرب إلى التدوين والكتابة وإن أغلب الأحداث وصلت إلينا شفاهاً عبر حقب التاريخ الطويلة لذلك كان الحدث عرضة للزيادات والمبالغة، حتى أصبحت أخبارهم أشبه بالخرافات منها بالحقائق⁽³⁾ حيث تشير روايات الإخباريين إلى أرض اليمن استوطنت بعد حادثة الطوفان الذي حدث في زمن نبي الله نوح عليه السلام حين تكاثر الناس من أولاده الثلاثة سام وحام ويافت ففرقوا في الأرض قوم تبعوا ريح الصبا أين سارت واقتدوا بها وهم بنو حام فصاروا حتى عزلوا اليمن ولم يسم إذ ذاك يمن ثم هبت بعدهم ريح فتبعها قوم من بني يافت وهم القوط فنزلوا بجوار بني حام والموضع الذي نزلت فيه بنو يافت يسمى الهيفاء فعملوا الأرض واقتتحوها وغرسوا الثمار واجروا الأنهار ثم تنافس بنو حام وبنو يافت فاقتتلوا فغلب بنو حام على بني يافت وملكوهم واجروا عليهم الخراج⁽⁴⁾، تدل

(1) فيليب حتي، تاريخ العربية دار الكاشف للنشر (بيروت 1986)، ص 59.

(2) بالهقي، محمد عبد القادر، تاريخ اليمن القديم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت 1985)، 11.

(3) جرجي زيدان، تاريخ العرب قبل الإسلام، المكتبة الأهلية، (بيروت 1965)، ص 13.

(4) وهب بن منبه، التيجان في ملوك حمير، مركز الدراسات والبحوث اليمنية (صنعاء 1979)، ص 38.

هذه الرواية التي ذكرها وهب بن منبه إن أول من استوطن أرض اليمن اقوام ليسوا من الجنس السامي وبالتالي ليسوا عربا والعرب امة قديمة فقد كانوا بعد الطوفان وعصر نوح عليه السلام في عاد الأولى وثمود والعمالقة وطسم وجديس واميم وجرمهم وحضرموت ومن ينتمي اليهم من العرب العاربة من أبناء سام بن نوح⁽¹⁾، وقد حدد العلماء محيط الساميين الجغرافي بالمنطقة التي تسميها اليوم (الشرق العربي) بما في ذلك شبه جزيرة العرب ولكن عدا مصر وما إلى الغرب منها⁽²⁾ في حين عده قسم من المؤرخين أرض الجزيرة بما فيها مكة من ضمن أرض اليمن، إن أرض اليمن هي:

جزيرة العرب وحدها من الغرب والجنوب والبحر ومن جهة الشرق العراق ومن جهة الشمال الشام فيدخل في حدودها جميع نجد والحجاز وتهامة⁽³⁾، إلى ذلك نجد الكثير من الروايات التاريخية تشير خلافا لرواية وهب بن منبه والتي تعد رواية شاذة عن استيطان غير العرب لهذه الأرض حيث تجمع كل الروايات التاريخية إن أبناء سام وتحديداً العرب هم أول من استوطن أرض اليمن ورغم إن هذه الروايات لا تتفق حول شخص معين يحد ذاته يمكن أن ينسب الفضل إليه بأنه أول من استقر فيها إلى أن إجمال الشخصيات التي يداولها الإخباريون ينسبون إلى سام بن نوح وليس إلى أحد أخويه ومن هذه الروايات فولد لقحطان يعرب ويقطان فنزل اليمن وكان أول من سكن اليمن وأول من سلم عليه بأبيت اللعن⁽⁴⁾، وفي رواية أخرى نجد إن أول من استوطن اليمن هو قحطان وليس ولديه، فولد لقحطان يعرب ويقطان أبناء قحطان بن عيار بن شائع فنزلوا أرض اليمن وكان قحطان أول من ملك

(1) اللاتوسي، محمود شكري، بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب: تعليق محمد بهجت الأثري، دار الكتب العلمية (بيروت 2009)، ج 1، ص 7

(2) توفيق برو، تاريخ العرب القديم، دار الفكر (دمشق 2007)، ص 41.

(3) القاسم، يحيى بن الحسين، غاية الأمان في أخبار القطر اليمني، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكتاب العربي، (القاهرة 1968)، ص 53.

(4) ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن محمد الجزري، ت 630، الكامل في التاريخ، تحقيق مأمون شيحة، دار المعرفة (بيروت 2007)، ج 1، ص 69.

اليمن⁽¹⁾، وهذه الرواية وجده من المؤرخين من يستند عليها ولم يحدث فيها اختلاف وقحطان أبو اليمن كلها⁽²⁾، وهنالك روايات تنفي صلت قحطان أو أيا من ولديه بأنهما أول من استوطنا أرض اليمن إنما تنسب هذا الأمر إلى عاد وعاد هذا هو من تسمى القوم على اسمه وهم من العرب البائدة الذين جاءت أخبارهم في القرآن الكريم، قال تعالى: {وَالْيَإِىُّ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ إِن كُنْتُمْ إِلَيَّ مُقِرُّونَ} ⁽³⁾، فلما كفروا حق عليهم العذاب فأبادهم الله تبارك وتعالى إذا يحسب روايات الإخباريين أن عاد هو أول من استوطن أرض اليمن قبل أن تنقرض وتنتلاشى أخبارهم وكان لسام بن نوح خمسة بنين ارم وكان أكبرهم سنا وارقمشند وعالم واليفر والاسور قمص ولد ارم باللسان العربي عند تليل الألسن وكانوا أيضا سبعة من إخوة عاد وثمود وصحار وطسم وجديس وجاسم وويار فارتحل عاد مع من تبعه حتى حل بأرض اليمن⁽⁴⁾، في حين نجد رواية أخرى توردها المصادر التاريخية إلى أن سام بن نوح وليس ذريته هو من استوطن أرض اليمن وقسم نوح الأرض بين ولده فجعل لسام وسط الأرض والحرم ما حوله واليمن وحضرموت إلى عمان إلى البحرين إلى عالج وبيرين وويار والدو والدهناء وجعل لحام أرض المغرب والسواحل فولد كوش بن حام وكنعان بن حام النوبة والزنج والحبيشة ونزل ياقث بن نوح ما بين المشرق والمغرب⁽⁵⁾ ولم يكتفي الإخباريون بذلك إنما جعلوا سام هو من أبتنا مدتها.

(1) الطبري، محمد بن جرير، ت310، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف (القاهرة 1967)، ج1، ص25.

(2) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسن بن علي، ت346، مروج الذهب ومعادن الجواهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعارف (القاهرة 1968)، ج1، ص43.

(3) القرآن الكريم، سورة هود، آية 50.

(4) النديوي، أبو حنيفة أحمد بن داود، ت282، الأخبار الطوال، تحقيق عصام محمد الحاج علي، دار الكتب العلمية، (بيروت 2001)، ص34.

(5) اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب، ت292، تاريخ اليعقوبي، تحقيق خليل المنصور، دار الامتصاص (طهران بلا)، ج1، ص17.

لما توفي نوح عليه السلام احتوى ابنه السكني في ارض الشمال فاقبل طالعا في الجنوب يرتاد أطيب البلاد حتى صار إلى الإقليم الأول فوجد اليمن أطيبه مسكنا وارتاد اليمن فوجد حقل صنعاء أطيبها بعد المدة الطويلة فوضع مقرانه وهو الخيوط الذي يقدر به البناء إذ أمده بوضع الأساس في ناحية بمضدان في غرب الحقل مما يلي جبل عيبان وبين نقم وعيبان وهما جبلا صنعاء⁽¹⁾، فكانت مدينة صنعاء التي وضع أساسها سام بن نوح، أضف إلى ذلك إننا نجد بعض الروايات التي أوردتها الإخباريون تحمل الكثير من المبالغة حتى جعلت من اليمن ارض مباركة وان الله اختص بها عبادة الصالحين فقط يقول الإخباريون أن الله أوحى إلى نبيه هود يا هود إذا ضربت رائحة المسك إليك وإلى أحد من ولدك من ناحية من نواحي الأرض فليتبع تلك الناحية⁽²⁾، إذن فهذه وصية أوصى الله بها بنبيه هود عليه السلام إذ وجد هذه الأرض التي تخرج منها ريح المسك فعليه أن يستوطنها وان لم يجد فليخبر عنها ذريته ليبحثوا عنها وتشير الرواية أن الذي وجد تلك الأرض الموعودة (يعرب بن قحطان بن هود وجد رائحة المسك، فقال له هود وأنت ميمون النقية يا يعرب أنت أيمن ولدي مر فإذا سكن عنك ما تجد فانزل على اليمن ولا تمر فإنها لك خير وطن⁽³⁾، وهذه الرواية التي أوردتها وهب بن منبه لا تتعارض مع روايته السابقة والتي قسم بموجبها ارض اليمن بين أبناء حام وأبناء يافث إنما نراه هنا في هذا النص انه بعد أن أعطاه لهذه الأرض خصوصية وأخفى لها شيء من التقديس أتى ببني سام إليها حسب الوصية الإلهية، ومن المعلوم انه في روايته الأول قال إن هذه الأرض كانت مستوطنة إذ استقر بها أبناء حام في منطقة أطلق عليها اسم العالية وأبناء يافث في منطقة الهيفاء وكانوا يؤدون آتاوه سنوية إلى أبناء حام، فلما أذن ليعرب بن قحطان أن يستوطن تلك الأرض فنزل بجوار بني حام فشاجر به بنو حام كما فعلوا ببني يافث فرجعوا إلى يعرب وبني عابر الذين معه فقاتلهم قتالا شديدا فهزمهم يعرب ونفاهم إلى غرب الأرض فاتاه بنو يافث مسعنين فأمرهم بالإقامة ورفع عنهم الخراج الذي كان يؤدونه إلى بني حام وورث يعرب ارض اليمن⁽⁴⁾، إذاً فإجمال الروايات على اختلاف مسمياتها تدل دلاله قطعية على إن الساميون العرب

(1) الرازي: تاريخ مدينة صنعاء، ص 16.

(2) وهب بن منبه، التيجان، ص 39.

(3) المصدر السابق، التيجان، ص 40.

(4) المصدر السابق، التيجان

هم أول من استوطن ارض اليمن بعد أن نزحوا إليها من الشمال وهذه الروايات تتفق مع التقنيات الأثرية الحديثة التي أثبتت ذلك حيث (لاحظ بعض الباحثين ومنهم وينكلر وهومل ودوفرتي إن بعض مظاهر الحضارة المعنية تشبه حضارة البابليين فالآلهان شماش وعشترون البابليين يشبهان الآلهين شمس وعثر اليمانيين كما أن النقوش والأختام المعنية تشبه بعض ما وجد في العراق القديمة والمكرين اليمانيين يشبهون الملوك الكهنة السومريين وقد استنتج هؤلاء العلماء من ذلك أن المعنيين من أصل عراقي⁽¹⁾، وإلى ذلك أشار جرجي زيدان بقوله فلما ذهب دولة العرب في العراق نزح المعنيون في جملة القبائل التي نزحت وقد تعودت الحضارة فلم يعد يطيب لها التجوال في البادية فالتمست مقرا تقم فيه فنزلت اليمن وتوطنت الجوف وشيدت القصور والمحافر على مثل ما عرفت في بابل وتعاطي رجالها التجارة أملا لما تقتضيه طبيعة الإقليم واضطروا إلى الكتابة لتدوين حساباتهم التجارية فاقتبسوا الأبجدية الفينيقية لسهولة استعماها وقرب تناولها بالنسبة إلى الحرف المسماري فدوّنوا بها لغتهم وهي في الأصل لغة عامية بالنسبة إلى لغة بابل المدونة وتنوعت تلك الأبجدية بتوالي الأجيال حتى صارت إلى الحرف المسند المشهور⁽²⁾، أما الدولة السبئية التي ظهر في 15 ق.م على وجه التقريب والتي ذكرت في القرآن بسورة كاملة فقد أكد بعض العلماء بأن أصولهم من شمال الجزيرة ثم نزحوا إلى اليمن حيث ذكرت هذه المملكة في النقوش الأثرية القديمة منها حوليات (تجلات بلاسر الثالث (727.745) ق.م والإشارة الثانية حوليات (سرجون) (715) ق.م) ولهذا يذهب هومل إلى أن السبئيين إنما هم أصلا من القبائل العربية الشمالية وكانوا يعيشون فيما يعرف عند الأشوريين بـ (أربي) و(عربي) وفي التوراة بـ (يرب) و(يارب) وفي القرن الثامن قبل الميلاد هاجروا إلى اليمن حيث استقروا في (صرواح) ثم (مارب) التي جاء اسمها من (يارب) و(أيرب)⁽³⁾.

(1) صالح أحمد العلي، محاضرات في تاريخ العرب، ص 18.

(2) جرجي زيدان، العرب قبل الإسلام، ص 118.

(3) بحري، محمد عبد الله، تطور نظام الحكم في الجزيرة العربية منذ بداية العصور التاريخية حتى القرن الثالث قبل الميلاد، أبو ظبي للثقافة والآثار (الإمارات 2007)، ص 195.

المبحث الثاني

الأطباء الأجنبية في اليمن

ضوران أدركه المنون الأكبر

هتك الزمان بحمير وملوكها

تعرضت اليمن عبر مراحل التاريخ إلى العديد من الحملات العسكرية للاستحواذ عليها وذلك لما تتمتع به من خبرات وفيرة ومن موقع إستراتيجي مهم مكنها من السيطرة على طرق المواصلات البرية والبحرية في ذلك الوقت لذا فقد كانت هذه الأرض محط أنظار وأطماع القوى الخارجية لها عبر حقب التاريخ الطويلة، وتفيد المصادر التاريخية إن لاسكندر المقدوني (323-356 ق م⁽¹⁾)، كان أول شخصية أجنبية أرادت السيطرة والاستحواذ على خيرات اليمن بعد إن تمكن من التوسع في مشارق الأرض ومغاربها وكذلك يستكمل بسط نفوذه على معظم بلاد الهلال الخصيب⁽²⁾، في حين يرجع العلامة جواد علي بعد ترجمته لمؤلفات الكاتب أريان المتوفي سنة (175) ميلادية أسباب حملت الاسكندر على بلاد اليمن إنما لم تكن لغرض الحصول على منافع اقتصادية أو السيطرة على خيرات ومقدرات البلد إنما كانت بسبب إن الاسكندر أراد من خلال هذه الحملة معاوية القبائل العربية الساكنة في شبه الجزيرة العربية وذلك بسبب عدم قيام تلك القبائل بإرسال وفود تهنئه لاسكندر بعد اقتصاراته وتقدمه نحو بلاد الشام هذا من جانب ومن جانب آخر يقول أريان إن الاسكندر كان ينوي من حملته على بلاد العرب تنصيب نفسه إلهاً ثالثاً للعرب⁽³⁾، وتشير المصادر أن الاسكندر قد فضل الطريق البحري للقيام بهذه الحملة العسكرية حيث أعد أسطولاً ضخماً مجهزاً بالمؤن والحاجات الضرورية لإتمام هذه المهمة القتالية أضف إلى ذلك فقد قام بإرسال أسطول بحري استطلاعي يؤمن الطريق لحملته العسكرية غير أنه لم يقدر لهذه الحملة أن يكتب

(1) هشام محمد، الاسكندر الأكبر، دار المشارق، (القاهرة 2008)، ص 5.

(2) مسمم، عبد المعطي بن محمد، العلاقات بين شبه الجزيرة العربية والحبشة، إيترك للطباعة والنشر (القاهرة 2008)، ص 99.

(3) جواد علي، الفصل في تاريخ العرب، مكتبة جرير (بيروت 2006)، ج 5، ص 5.

لها النجاح بسبب وفاة الاسكندر المفاجئ مما حال دون إتمام هذه المهمة⁽¹⁾، التي لو كتب لها النجاح لكانت أول غزو أجنبي وطن أرض اليمن، ثم جاء بعد ذلك بعدة سنوات (اليوس جالوس) الحاكم الروماني على مصر ليقوم بحملة عسكرية أخرى على بلاد اليمن في عهد الإمبراطور الروماني (اغسطس) تسجل أول استيطان عسكري على الأراضي العربية الجنوبية لشبه الجزيرة العربية لغرض الاستحواذ على خيراتها ولغرض التوسع الروماني وللسيطرة على طرق المواصلات إذا كانت روما قد أخذت تمد نفوذها في الشرق الأوسط حيث استطاع (بوميوس) القائد والقيصر أن يضم بلاد الشام إلى الأملاك التي استولت عليها روما وجعلها مقاطعة من المقاطعات الرومانية⁽²⁾، كما قضى (يوليوس) قيصر على دولة البطالسة في مصر ولما تولى (اغسطس) زمام الحكم وعرف ما تصرفه روما سنويا من الأموال على البخور والاقاوية، أراد أن يضم إلى إمبراطوريته البلاد التي تنتج هذه المحصولات فأوعز إلى واليه في مصر (اليوس جاليوس) أن يسير على رأس حملة لاحتلال اليمن⁽³⁾، فيما يورد بعض الباحثين فضلا عن العامل الاقتصادي سببا آخر هو قيام دولة الأنباط بتشجيع الرومان للقيام بهذه الحملة نظرا لوجود التنافس التجاري بينهم⁽⁴⁾ مستدلين بذلك بقيام الأنباط بإرسال مجموعة من الجند لمساعدة قوات (اليوس جاليوس) إضافة إلى قيام الوزير سيليوس (صالح) النبطي بالعمل كمرشد ودليل على هذه الحملة، في حين يذهب المؤرخ بالقضية إلى خلاف هذا الرأي ويفسر مساعدة الأنباط للرومان نتيجة لضعف دولتهم أمام إمكانيات الرومان العسكرية، (ولا شك إن الصداقة التي كانوا ينشدهونها هي صداقة الضعيف للثقوي والتي لا تعني أكثر من التبعية)⁽⁵⁾، ومن المرجح إن هذا الرأي هو الأصوب ودليل ذلك أنه ما انتهت الحملة بالقشل حتى تم إعدام الوزير (صالح) لاعتبار أنه أسهم

(1) الناصري، سيد احمد علي، الإغريق وتاريخهم وحضارتهم من كريت حتى قيام إمبراطورية الاسكندر الأكبر، دار النهضة العربية، (القاهرة 1984)، ص 553.

(2) جواد علي، الفصل في تاريخ العرب، ج 2، ص 31.

(3) نبيه عاقل، تاريخ العرب القديم والعصر الجاهلي، مطبعة جامعة دمشق (دمشق 1992)، ص 212.

(4) يحيى لطيف عبد الوهاب، العرب في العصور القديمة، دار النهضة العربية، (القاهرة 1979)، ط 2، ص 426.

(5) باققيه، محمد عبد القادر، تاريخ اليمن القديم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر (بيروت 1985)، ص 74.

وتعتمد في تضليل الحملة فلو كان الأنباط هم المحرضون على هذه الحملة الرومان على إعدام الوزير (صالح)، إلى ذلك نجد رواية أخرى ترجح سبب الحملة السيطرة على الطريق البحري لاسيما وأن الرومان تضايقوا من الدولة الحميرية ومن قوتها وسيطرتها على التجارة في المناطق المجاورة لأملاكها الجديدة واحتكارها لموارد الزيت والتوابل التي تأتي بها عبر الهند وتتحكم في أسعارها فلا تصل إليهم إلا بأعلى ثمن⁽¹⁾، ومن الجدير بالذكر إن كل المصادر العربية القديمة لم تتطرق إلى هذه الحملة إطلاقا وإن ما يدعو الدهشة أيضا إن علماء الآثار والتقنيات لم يصلوا لحد الآن إلى نصوصا إجراء بحثهم في أرض اليمن تحمل تفاصيل الإشارات حول حملة (اليوس جاليوس)، لذا يعلق العلامة (جواد علي) على ذلك بقوله إن سر الحملة لم يزل مدفون تحت التراب ولم تكشفه بعد الأبحاث الأثرية وأن المعلومات الوحيدة لتلك الحملة تلك المستمدة من الكتب الكلاسيكية وخاصة ما نقله (استريوا) مؤرخ الحملة الذي كان معاصرا للقائد الروماني (جاليوس) في تلك الحملة وصديقه⁽²⁾، وعلى أي حال فقد تحركت تلك الحملة وكان قوامها عشرة آلاف جندي بينهم مصريون ورومان بالإضافة إلى عدد من الأنباط يقودون بألف جندي وخمسمائة يهودي. وقد رافقها كل من المؤرخ (سترابو) والذي يعد هو المصدر الرئيسي الذي شهد ودون لهذه الحملة واستسقى من كتاباته الكثير من الباحثين تفاصيلها رغم تحفظهم على أغلب ما دونه ونقله من مشاهد وأحداث، (أغلب الظن إن سترابو لم يكن آمينا في وصفه للحملة ولم يكن في حديثه ذلك مؤرخا يتحرى الحقائق وإنما كان سياسيا يدافع عن سمعة إمبراطوريته وعن صديقه القائد⁽³⁾، وكذلك كان مع هذه الحملة الوزير النبطي (صالح syllaevs) الذي وضعه ملك الأنباط عباده الثاني تحت تصرف الحملة ليكون دليلها ومستشارها بعد إن وقعت دولة الأنباط تحت سيطرة الرومان⁽⁴⁾، سارت الحملة من الموانئ المصرية حيث

(1) برو، تاريخ العرب القديم، ص 81.

(2) جواد علي، الفصل في تاريخ العرب، ج 2، ص 58.

(3) بالهقي، تاريخ اليمن، ص 74.

(4) برو، تاريخ العرب القديم، ص 103.

أبحرت من ميناء ارسنوي (arsine) الواقع في الطرف الشمالي الشرقي للبحر الأحمر⁽¹⁾، ونزلت في ميناء (لويكة كومة) النبطي في الحجاز ويبدو إن الوزير (صالح) وباقي الجند النبط التحقوا بالحملة بعد أن وصلت مراكب وسفن الرومان إلى الميناء الخاضع لسيادتهم بناء على اتفاق مسبق بينهم، وما أن وصل (اليوس جاليوس) بجيشه إلى ميناء (لويكة كومه) حتى فتك المرض بقسم من جنده لأسباب عديدة منها فساد الماء والطعام وسوء الغذاء فاضطر إلى قضاء فترة الصيف والشتاء عند الأنباط لحين استراحة جنده وتعافيتهم من المرض الذي ابتلوا فيه⁽²⁾، ويعد إن أتم قائد الحملة كافة استعداداته. تحرك بجحافلته العسكرية نحو الجنوب باتجاه مدن اليمن وكانت أول المدن التي اجتاحتها هي مدينة نجرانا (نجران) التي هرب ملكها، ومن نجران تحرك إلى مدينة أسكا (نشق) التي سلمها ملكها دون مقاومة على أنه في الطريق بين نجران ونشق. حدثت معركة عند نهر.

قتل فيها كما يزعم (سترابو) عشرة آلاف من العرب في مقابل رجلين من الروم⁽³⁾، ويبدو من وصف سترابو مؤرخ الحملة منذ انطلاقها، ويعيدا عن مدى أمانته ودقته في نقل الحقائق تستنتج أن هناك مقاومة عنيفة واجهت تقدم القوات الرومانية، ونقول عنيفة لأنها على الرغم من عدد الخسائر الكبيرة التي منيت بها هذه المقاومة حسب نقل سترابو إلى أنها أصرت على التصدي لهذه الحملة وعرقلتها رغم ما ألم بها من خسائر كبيرة، ويعد تلك المعارك الضارية استولى الجيش الروماني على مدينته أسقه ومدينة أثلة ليتوجه بعد ذلك إلى مدينة مرسيا حيث فرض عليها حصار استمر ستة أيام غير أنه تركها لقلّة المياه فيها وكان هذا الموضع آخر ما بلغه الرومان في أرض اليمن⁽⁴⁾، ومن المرجح إن مدينة مرسيا هذه هي مدينة (مارب) عاصمة الدولة الحميرية في ذلك الوقت⁽⁵⁾ حيث كانت قوية

(1) سمس، العلاقات بين شبه الجزيرة العربية، ص 103.

(2) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج 2، ص 36.

(3) والفيقي، تاريخ اليمن، ص 74.

(4) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج 2، ص 38.

(5) ذبيبة عائل، تاريخ العرب القديم، ص 92.

التحصين مما أخطر الرومان إلى فرض طوق من الحصار لأجل اختراقها إلى إن محاولتهم باتت بالفشل رغم إن هذا الحصار استمر ستة أيام ولكن دون جدوى مما اضطرهم إلى التكوّص عنها بسبب قلة المؤن والمياه ليعود بعد ذلك قائد الحملة اليوس جاليوس بجيشه خائباً دون تحقيق أي انتصار ملموس في هذه الأرض وقد واجهت تلك الحملة مصاعب جمة على طول الطريق من ميناء (لويكة كومه) وحتى مدينة مأرب لم تكن في حسيان قائدها منها ندرة المياه وقلة الموارد الغذائية اللازمة للجيش، وانتشار الأمراض بين الجنود وهلاك معظمهم والاهم من ذلك عدم توفر الطرق البرية الصالحة للسير مثل تلك الحملة⁽¹⁾، ذلك بالإضافة إلى بعد مراكز القواعد الرومانية لإيصال ما يلزم من المساعدة للقوات المتقدمة في عمت الأراضي اليمنية، أضن إلى ذلك دخول هذه القوات بصراع مع بعض القبائل العربية التي تصدت لتلك الحملة واستبسلت في مقاومتها، في حين يرجع بعض الباحثين فشل تلك الحملة (وقتئذ بسبب إن مملكة حمير كانت لا تزال قوية⁽²⁾)، على إن المصادر الرومانية وعلى رأسها سترابو مؤرخ الحملة يرجع فشل تلك الحملة خديعة الوزير التبطي (صالح) في إرشاد وتوجيه الحملة على الوجه الصحيح⁽³⁾، دون أن يشير إلى أي دور لأهل اليمن في التصدي لهم، والواقع إن مقاومة اليمنيين هي السبب الرئيسي لعدم نجاحهم في إخضاع البلاد لسلطتهم⁽⁴⁾.

(1) الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ص76

(2) عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسي للدولة العربية، مكتبة الانجلو المصرية (القاهرة 1960)، ج1، ص73

(3) باقرية، تاريخ اليمن، ص75

(4) ديبه عاقل، تاريخ العرب القديم، ص92

المبحث الثالث

الممالك اليمنية القديمة

تعرف في آثارهم أنهم أساس ملك ليس بالمبتدع

يعد اليمن مهداً لأقدم حضارات الجزيرة العربية فعلى أرضه عاشت أقوام من قبل الميلاد بنحو ألف عام أسسوا مدن وممالك واستوطنوها فكانوا نواة ولبنات لحضارة عربية أصيلة نشأت في جنوب جزيرة العرب وكان هؤلاء القوم يتحدثون بلهجات متعددة وكانهم قبائل مختلفة من أصل واحد، وقد وردت إشارات تدل على أسماء ممالك مختلفة كانت على ظهر هذه الأرض منها سبأ ومعين وقتبان وأوسان وحضرموت وحميز، ومن هذه الإشارات والأدلة والقرائن المتناثرة يحاول علماء الآثار وعلماء الكتابات القديمة إعادة تركيب التاريخ القديم حتى تتم لهم صورة متكاملة أو شبه متكاملة⁽¹⁾، عن كيفية وطبيعة هذه الممالك العربية القديمة التي نشأت واندثرت قبل آلاف السنين ومن أهم هذه الممالك هي:

أولاً: الدولة المعينية:

قامت في شمال اليمن ووسطه في الجوف الممتد من نجران إلى حضرموت حكومة ملكية وراثية (عضها القرن⁽²⁾) أو العزم أو قرناو، وتعد هذه المملكة حسب رأي العلماء أول وأقدم الممالك التي قامت في اليمن.

وقد بلغتنا أخبارها من الكتابات المدونة بالمسند والكتب الكلاسيكية واليونانية والرومانية ولم يرد لها اسم أو ذكر في الكتابات والمصادر العربية الإسلامية⁽³⁾، وقد جاء ذكر هذه المملكة في نقوش مملكة بابل بين أخبار نرام سين

(1) ذبيح عاقل و تاريخ العرب القديم وص 212.

(2) حسين قاسم، موجز تاريخ العرب والإسلام، مكتبة النهضة، (بيروت 1971)، ص 52.

(3) سهيل زكار، تاريخ الوطن العربي القديم، منشورات جامعة دمشق، (دمشق 2003)، ص 86.

سنة 3750 ق.م على نصب عليه نقوش مسمارية جاء فيها إن ترام سين حمل على معان وقهر ملكها مغيوم وأنه اقتطع حجارة من جبلها حملها إلى مدينة أكاد ونحت حجرا منها جعله نقش على قاعدته خبر هذا الفتح⁽¹⁾، وقد رأى بعض العلماء إن هذه المملكة يعود تاريخ قيامها إلى أكثر من عشرة قرون قبل الميلاد في حين ذهب آخرون إنها قامت في حوالي 800 قبل الميلاد⁽²⁾، إلى ذلك ذكر (البرايت) أنه يرى قيام مملكة معين كان قبل سنة (350 ق.م) وقد استمر حكمها إلى ما بعد سنة (50 ق.م) أو سنة (100 ق.م) وذهب آخرون إلى نهاية مملكة معين كانت في حوالي السنة المائة بعد الميلاد وهكذا نجد الباحثين في العربيات الجنوبية مختلفين في بداية الدولة وفي نهايتها⁽³⁾، وإن جل ما تضمنته هذه المصادر التي تتحدث عن هذه المملكة اختص ببلدتي معين ويراقلش وهو لا يتجاوز التعريف فيها حيث كانت محضرين من محافر اليمن وقصورها أو حصونها القديمة، وكانت الظروف الدولية مؤاتية لها أن تظهر كدولة قرية ففي مصر لم يتمكن ملوك الأسرة الحادية والعشرين الضعفاء من التدخل في شؤون الجزيرة العربية وفي العراق كان يحكم بال ملوك ضعفاء وفي آشور كان الملك ثغلات فلاسر منشغلا في حروبه في شمال العراق وقد ساعدت هذه الظروف المعينين على تثبيت ملكهم ومد نفوذهم التجاري في الشرق الأوسط⁽⁴⁾، والجدير بالذكر أن مملكة معين وحضارتها ضلت غير معروفة حتى تمكن العالم جوزيف مالفيزي 1870 من الكشف عن آثار معين بعد أن تنقل بين خرائبها من صنعاء إلى الجوف إلى نجران فمأرب وصرواح حاملا إلى بلاده 686 نقشا جمعها من 37 مكانا مختلفا⁽⁵⁾، وبعد أن أتم دراستها بتمعن توصل إلى وجود مملكة عاصمتها قرنا سبقت مملكة سبأ بعد عقود. فقد ظهرت مملكة معين في الجوف بين نجران وحضرموت في أرض خصبة منبسطة على ضفة وادي مغاب وقد

(1) جنجي زيدان، العرب قبل الإسلام، ص 118

(2) اغناميوس غويدي، محاضرات في تاريخ اليمن والجزيرة العربية قبل الإسلام، ترجمة إبراهيم السامرائي، دار

الحدادة بيروت 1986، ص 86

(3) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج 2، ص 62

(4) صالح أحمد العلي، محاضرات في تاريخ العرب، ص 19

(5) يحيى، العرب في العصور القديمة، ص 356

عمل أفرادها بالزراعة والتجارة وكان نظام الحكم في هذه الدولة ملكياً ووراثياً من الأب إلى الابن وقد يشترك الاثنان معاً في الحكم كما يشترك أكثر من ملك في اسم واحد لكن يتميز بعضهم عن بعض بالألقاب مثل المنتقد أو المخلص والعادل ولقب الملوك في بداية عهد الدولة بلقب مزواد ولعل هذا اللقب يتضمن معنى الكهانة فضلاً عن الحكومة فيكون المراد بقولهم مزواد معين أي حاكم معين وكاهنها⁽¹⁾، وقد اتضح من دراسة للمستشرق (مولر) إن نظام الحكم كان ملكياً مفيداً ووراثياً، بحيث يرث الابن أباه ويشارك الملك في الحكم مجلس استشاري يتمتع بسلطات واسعة ويبدوا إن حكومة معين كانت تتبع النظام اللامركزي في الحكم إذ كانت كل مدينة من مدنها تتمتع باستقلالها الداخلي ولها آلهتها وهيئاتها الدينية وحكومتها التي يرأسها ممثل للملك يحمل لقب (كبر) أي كبير كما كان لها مجالها المحلية التي تحكم بين الناس وتتألف من أشراف المدينة والمجتمع المعيني مجتمع قائم على نظام الطبقات والمعيّنون قوم متديّنون يعيرون للدين أهميه كبيرة وللمرأة مكانة محترمة في المجتمع وتتمتع بحرية واسعة⁽²⁾، وقد لاحظ بعض الباحثين وخاصة ونلكر وهومل ودفرنسي، إن بعض مظاهر الحضارة المعينية تشبه حضارة البابليين فالإله شماش وعشتروت البابلية يشبه اسمها الإله شمس وعشر اليمانية كما إن النقوش والأختام المعينية تشبه ما عند العراقيين القدماء والمكارب اليمانيين يشبهون الملوك الكهنة السومريين وقد استنتجوا من ذلك إن أصل المعينين من العراق غير إن هنا تشابه الجزئي في مظاهر الحضارة لا يكفي أن يكون دليلاً قاطعاً على كونهم جاءوا من العراق إذ يجوز أن يكون الساميون العراقيون قد جاءوا من اليمن أو قد يكون العراقيون واليمانيون قد جاءوا من أصل واحد في محل ما أو قد يكون التشابه في مظاهر الحضارة نتيجة الاختلاط الذي كان بين البلدين منذ أزمنة سحيقة⁽³⁾.

(1) طقوش، محمد سهيل؛ تاريخ العرب قبل الإسلام، دار النفائس (بيروت 2009)، ص 287.

(2) برو، تاريخ العرب القديم، ص 67.

(3) صالح أحمد العلي، محاضرات في تاريخ العرب، ص 18.

تمكن المعينون من ربط نفوذهم السياسي على المناطق الواقعة في شمال الحجاز معان وديدال (العلال) وفدين وسيطروا على الطريق التجارية بين الجنوب والشمال إلا أنهم لم يجدوا وسيلة تضمن لهم الأمن والسلام سوى السيطرة على الطريق الوحيدة المعروفة في ذلك الوقت وفي إقامة المراكز والمحطات الألهة بيني قومهم وكانت هذه الطريق والمراكز المقامة عليها موضع نزاع دائم بينهم وبين معاصريهم السبئيين بسبب المنافسة في التجارة⁽¹⁾، وقد عرف المعينون النقود وضربوها في بلادهم فقد عثر على قطعة نقد هي (دراخما) أي درهم عليها صورة ملك جالس وقد امسك بيده اليمنى بحرف واضحة بالمستند،

ويظهر من دراسة هذه القطعة ومن دراسة النقود المتشابهة التي عثر عليها أنها تقليد للنقود التي ضربها خلفاء الاسكندر الكبير⁽²⁾، ومن أقدم الأسر التي عثر على ملوكها أسر (أيل صادق) و(قه أيل) و(صدق أيل) ويلاحظ هنا إضافة اسم (أيل) العربي إلى أسمائهم مما يدل على أنه الآلهة العربي وإن لفظ الله كان معروفاً في الجزيرة العربية⁽³⁾، وقد أجمع كل الباحثين على أن الدولة السبئية هي من قضت على نفوذ مملكة معين وأخذت مكانتها وبرزت كدولة لا تقهر ويؤخذ من نقش قرأه غلازر إن السبئيين افنوا المعينين يوم كان الملوك السبئيين يلقبون مكرب⁽⁴⁾.

ثانياً : مملكة قتبان :

تعد مملكة قتبان واحدة من أقدم الممالك العربية التي ظهرت في جنوب الجزيرة العربية، وتشير الدراسات الأثرية إن هذه المملكة قد عاصرت كل من الدولة العينية والدولة السبئية⁽⁵⁾، كما تجرنا الوثائق الكتابية والأثار التي استطاع جملة من العلماء العثور عليها وعلى رأسهم العالم النمساوي غلازر الذي بدء برحلة في

(1) سهيل زكار، تاريخ الطن العربي القديم، ص 86

(2) جواد علي، الفصل في تاريخ العرب، ج 2، ص 89.

(3) احمد سوسة، تاريخ حضارة وادي الرافدين، دار الحرية للطباعة (بغداد 1983)، ج 1، ص 321.

(4) عنان زيد بن علي، تاريخ حضارة اليمن القديم، دار الافاق العربية (بيروت بلا)، ص 83.

(5) صالح احمد العلي، محاضرات في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص.

عام 1882 ليستكشف تاريخ جنوب الجزيرة العربية وخلال سنوات عديدة قضاه في رحلته استطاع أن يزور اغلب المناطق اليمنية ويحصل على العديد من النقوش والآثار التي الفت الضوء على أصول هذه المملكة⁽¹⁾، أما عن تاريخ نشوء وقيام هذه الدولة ونهايتها فقد اختلف الباحثون في هذا الموضوع إلى عدة آراء إذ يرى غلازر إنها قامت فيما بين عامي (24-200 ق.م) وربما قبل ذلك إما فليبي فينكر إن أقدم مكارب قتيبان يرجع إلى حدود سنة 568 ق.م وإن قتيبان اندمجت في دولة سبا نهائيا في سنة 540 ق.م في حين إن النقوش التي حصلت عليها بعثه (وندل فيليبس) تؤكد بان القتبانية كانت أهله بالسكان في آلاف الثاني قبل الميلاد أي إنها عاصرت الدولة المعينية والدولة السبئية⁽²⁾، إلى ذلك فقد وجد العلماء صعوبة لرسم الحدود الإدارية لهذه المملكة فلم يتمكنوا أن يحددوا بدقة الموضوع الذي أقام فيه القتبانيون دولتهم فقد ذهب غلازر إلى انه الموضوع الذي سماه بطليموس (مامالي قوم) (mamali kome) وأنه يقع على سهل تهامة ولم يبعد سترابون عن هذا عندما قال بأن القتبانيين كانوا يسكنون في الجنوب الغربي من ارض السبئيين. أي بين صنعاء وباب المندب بينما يحدد هومل موقع الدولة بكونه لا يبعد أكثر من 110 كم جنوب شرقي مأرب⁽³⁾، في حين ذهب بعض الباحثين إلى أن هذه المملكة تقع شرق عدن وإن عاصمتها (تمنع) وهي مدينة (كحلان اليوم)⁽⁴⁾، ويمكن تحديد أول إشارة تدل إلى مملكة قتيبان في أعدائه (مملكة اوسان) إذ عمد إلى تجزأت أراضي العدو المهزوم ليعطيها إلى ملك حضرموت وإلى النقش السبئي الكبير (كرب إبل وتر) الذي يمكن تحديد تاريخه ببداية القرن السابع قبل الميلاد حيث دون هذا الملك السبئي في هذا النقش إحدى إنجازاته العسكرية التي يصف فيها صراعه ضد أحد ملك قتيبان حليفه⁽⁵⁾، ولم تثر المصادر القديمة إلى أخبار ذات قيمة عن قتيبان، وقد شهدت الدولة القتبانية نهاية الدولة المعينية وعاصرت دولة سبا والدولة الحميرية

(1) سهيل زكار، تاريخ الوطن العربي القديم، ص 92.

(2) رشيد الجميلي، تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الكتب للطباعة والنشر، (بغداد 2001)، ص 45.

(3) پرو، تاريخ العرب القديم، ص 69

(4) فيليب حتي، تاريخ العرب، ص 89.

(5) بحري، تطور نظام الحكم في الجزيرة العربية، ص 206

التي اندمجت فيها فيما بعد ولقد أشار بعض الكتاب الكلاسيكيين من أمثال فليس فيها شيء يستحق الذكر عن قتيبان سوى إنها موضع من نواحي عدن وأنهم من قبائل حمير ويبدو إن هذا الخلط بينهم وبين حمير يرجع إلى ضعف قتيبان واندماجها بعد فقد استقلالها في حكومة سبا وهي التي يطلق عليها اسم (حمير⁽¹⁾)، كان نظام الحكم في قتيبان يشبه ما كان سائدا في دولة معين إذ الحكم ينتقل من الآباء إلى الأبناء، ويلاحظ أيضا إن الملوكية تنتقل إلى الإخوة مع وجود الأبناء، وكان يدير شؤون المملكة حكام نيابة عن الملك وشايخ يقال للواحد منهم (كبير)، وتتألف المملكة من حضر وهم سكان القرى والمدن وينسبهم إلى مدتهم ومن (أشعب) أي قبائل.

ويكون للمجتمع كالمدينة أو القرية أو القبيلة ذا ندوة تجتمع فيها للتشاور في تعريف الأمور السلم والحرب ويقال لها مشور⁽²⁾، أما من حيث الملوكة الذين حكموها فلم يستطيع العلماء وضع قائمة كاملة بأسمائهم ولا يزل ثمة ثغرات فيها، إنما استنتجوا من النصوص أن حكامها كانوا في أول فترة من حكمهم يحملون لقب (مكرب) التي تعني في لغتنا التقرب إلى الآلهة فهي لقب مقدس ويفيد القيام بوظائف الكهانة، أي إن الحاكم هو في الوقت نفسه كاهن وشفيع للناس عند الآلهة مثل هذا اللقب كمثّل (مزود) عند المعينين لكن الأمر تطور بعدئذ إذ أضافوا إلى ألقابهم لقب (ملك) وفي فترة تالية نزعوا عن أنفسهم لقب مكرب واكتنوا بلقب (ملك⁽³⁾) .

ثالثا: الدولة السبئية:

لقد ورد اسم سبا دون غيرها من القبائل والممالك اليمنية القديمة في القرآن الكريم في سورة النمل وفي سورة تحمل اسمها سورة سبا واقتضى ذكر القرآن

(1) الجرو اسمهان، موجز التاريخ السياسي القديم لجوب شبه الجزيرة العربية، دار الفكر (عمان 1996) ص 157

(2) رشيد الجميلي، تاريخ العرب قبل الإسلام، ص 46

(3) برو، تاريخ العرب القديم، ص 69.

الكريم لها وقرب عهودها الأخيرة بالإسلام أن يهتم بها الإخباريين العرب، لذلك تجتمع المصادر العربية على إن الأصل في تسمية هذه المملكة يرجع إلى سبأ بن يشجب بين يعرب بن قحطان واسمه عامر كان يعبد الشمس فسمي عبد شمس وهو الذي يقول فيه الشاعر:

ورثنا المجد من جد فجد وراثته حمير من عبد شمس⁽¹⁾

وإنما سمي سبأ لأنه أول من سبى السبي من ولد قحطان، وكان ملكه أربعمائة وأربعاً وثمانين سنة، ثم سمي به الحي ثم سمي به مسكنهم⁽²⁾ إلى أن أصبحت هذه الأرض والمملكة تعرف باسمه لأنه أكثر من الغزو في أقطار البلاد وسبأ خلقاً كثيراً وهو أول من سن السبي عند العرب، ولا تذكر لنا مصادرنا التاريخية شيئاً واضحاً آخر عن أصول هذه المملكة سوى الأسم، وفي التوراة نجد إن سبأ قد ورد قحطان⁽³⁾، وقد جاء ذكر السبئيين في حوليات الملك تجلات بلاسر الثالث (745 ق.م/727 ق.م) وفي نقوش سرجون الثاني (722-705 ق.م) ونقش يرجع إلى عهد سنحاريب حوالي (685 ق.م) وتشير هذه النقوش إلى هدايا كان يقدمها الحكام السبئيين إلى هؤلاء الملوك⁽⁴⁾، ولكن الراجح عند العلماء اليوم أنس رجون لم يصل بفتوحه إلى اليمن فالظاهر إن السبئيين كانوا يدفعون الجزية عن تجارتهم في شمال جزيرة العرب حتى يؤذن لهم بالمرور إلى شواطئ البحر المتوسط⁽⁵⁾، ويرى هومل إن السبئيين هم من أهل المناطق العربية الشمالية في الأصل غير أنهم تركوا مواطنهم هذه وارتحلوا في القرن الثامن قبل الميلاد إلى جنوب جزيرة العرب حيث استقروا في منطقة صرواح ومأرب وكانوا يقيمون على راية في المواضع التي عرفت بـ

(1) عنان، تاريخ حضارة اليمن القديم، ص 83.

(2) الألوسي، بلغ الأريه ج 1، ص 205.

(3) الكتاب المقدس، سفر الملوك، الإصحاح 10، آية 2.

(4) رشيد الجميلي، تاريخ العرب قبل الإسلام، ص 51.

(5) جرجي زيدان، تاريخ العرب قبل الإسلام، ص 122.

(أريبي) و(عريبي) و(أريبو) وفي الكتابات بـ (يارب) ومنها جاء اسم مأرب عاصمة سبأ⁽¹⁾، ويعود سبب نزوحهم من الشمال إلى الجنوب نتيجة لضغط الأشروريين عليهم وضعف المعينين وتنامي قدرتهم العسكرية فأخذوا يوسعون منطقة نفوذهم على حساب دولة معين فلما قوي أمر السبئيين قضوا على الدولة المعينية وأقاموا دولتهم على أنقاضها⁽²⁾، وتفيد المعلومات المستمدة من الكتابات والنقوش أن أول مكرب سبئي يرجع إليه الفضل في تأسيس الدولة السبئية وهو سمه علي وذلك في حدود سنة 800 ق.م إذ قدم بجحافل السبئيين من الشمال واجتاح بلاد المعينين ومن جاورهم من الحضارمة والفتنانيين وذكر النقوش أيضاً أن سمه علي قدم هدية من اليخور والند ثلاثة (المقه) الآلهة القمر التي أرشدته إلى أرض فيها اللبن والعسل⁽³⁾ استطاعت دولة سبأ أن تنمو وتزدهر لعظم ثراء شعبها نتيجة لاحتراهم الزراعة وسيطرتهم على الطريق التجاري البري الذي يربط الجنوب بالشمال وأصبح لهم نفوذ واسع يمتد من اليمن جنوباً إلى نجد والحجاز الشمالية شمالاً، وكذلك خضع لسيطرتها طريق التجارة العالمية الذي يربط جنوب شبه الجزيرة العربية ببلاد الشام ومصر وكانت حكومة سبأ تبعث حكاماً يقيمون في الواحات الشمالية التي تقع على هذا الطريق التجاري إلى جانب حاميات عسكرية لتضمن بقاء هذه المحطات التجارية في دائرة النفوذ السبئي وكانت واحة ديدن (العلا) المركز الرئيسي الذي تمارس فيه سبأ نفوذها في شمال بلاد العرب⁽⁴⁾ ويستدل مما قرأه الباحثين أن السبئيين مروا على أربعة أطوار تتميز بالقباب ملوكها فكان ملكهم في الطور الأول يسمى (مكرب سبأ) ثم قالوا ملك سبأ ثم ملك سبأ وريدان ثم قالوا ملك سبأ وريدان وحضرموت وأعرابها في الجبال وتهامة⁽⁵⁾، وللتوفيق بين ما وصل إليه الباحثون في الآثار المنقوشة وبين ما ذكره العرب منه في أخبار هذه الأمة. ونقسم هذه الأطوار إلى عصرين رئيسيين هما:

(1) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج2، ص204.

(2) سهيل زكار، تاريخ الوطن العربي القديم، ص93.

(3) رشيد الجميلي، تاريخ العرب قبل الإسلام، ص52.

(4) جرجي زيدان، تاريخ العرب قبل الإسلام، ص123.

(5) عبد العزيز سالم، تاريخ العرب القديم، مؤسس الثقافة الجامعية (القاهرة 1973)، ص44.

العصر الأول: ويعرف بعهد المكربين ويمتد من (800 ق.م - 650 ق.م) وهو العصر الذي كان حكامهم يلقبون فيه باللقب الديني (مكرب) أي المقرب بين الآلهة والناس أو إنها تعني المقدس وكان هؤلاء الحكام في الواقع كهانا مقامهم مقام المزواد عند المعينين وكانت عاصمتهم (صرواح) الواقعة بين مدينة مأرب وصنعاء ومكانها اليوم مدينة (خريبة) شرق صنعاء⁽¹⁾.

العصر الثاني: ويعرف بعهد الملوك ويمتد من (650 ق.م - 115 ق.م) وسمي بعهد الملوك لأن الحكام أزالوا لقب مكرب عن انفسهم وتلقبوا بلقب ملك سبأ واتخذوا مدينة مأرب عاصمة لهم⁽²⁾.

(1) يروى تاريخ العرب القديم، ص 73

(2) مقلوش، تاريخ العرب قبل الإسلام، ص 297.

الفصل الثاني (2)

العلاقات اليمنية الحبشية عبر العصور

* المبحث الأول / الحبشة وقيام مملكة أكسوم

** المبحث الثاني / التوغل الحبشي في اليمن

*** المبحث الثالث / الاحتلال الحبشي الأول

المبحث الأول

الحبشة وقيام مملكة أكسوم

نالوا من الملك ونقب القلع

يشهد للماضي منا بأن

يجمع الإخباريون على إن الأحباش أمة من الناس يرجع أصلهم ونسبهم إلى كوش بن حام استوطنوا هذه الأرض بعد حادث الطوفان حين تغرق أبناء سيدنا نوح وذرايتهم في صقاع الأرض المختلفة ((لما تغرق ولد نوح في الأرض سار ولد كوش بن كنعان نحو المغرب حتى قطعوا نيل مصر ثم اخترقوا فصار منهم طائفة ميمنة بين المشرق والمغرب وهم النوبة والبجة والزنج))⁽¹⁾ وقد أطلق عليهم وعلى أراضيهم عدة تسميات عبر المراحل التاريخية المختلفة إلى أن أقاموا مملكة أكسوم.^(*)

أما عن تحديد لفظة أحباش ومدلولها فإن أقدم ما وصلنا من نقوش عثر عليها الباحثون وجاءت فيها لفظة حبشت هي نقوش عربية جنوبية ترجع إلى حوالي القرن الأول قبل الميلاد وبالتحديد إلى عهد الملك السبئي علهان نفهان الذي حكم في النصف الأول من القرن الأول قبل الميلاد وذلك ضمن النص الذي يحمل رقم CIH308 وجاءت فيه العبارة التالية (وأقول وقد من وأشعب ملك حبشت) وترجمته اقبال وسادات وقبائل ملك الحبشة⁽²⁾ وتدل أبحاث الدراسات على إن الاسم العربي (حبشة) أو (حبشات) إنما يعني (الخليط) أو الأجناس المختلطة قد بدا يطلق على تلك البلاد منذ أن بدأت تيارات الهجرة إليها من الجزيرة العربية عامة

(1) المسعودي، مروج الذهب، ج2، ص4

(*) أكسوم حاضرة دولة أكسوم الحبشية وتقع في شمال الهضبة الحبشية وارتبط تاريخها بمملكة أكسوم الحبشية أما قبل ذلك فهو تاريخ أسطوري تناقلته الأساطير الحبشية القديمة حيث ذكرت إن (إثيوبي) (أبو الاثيوبيين) كان له ولد اسمه أكسوماوي نصب ملكاً للبلاد وربما هو يكون مؤسساً للبلدية وتقع على بعد 950 كم إلى الجنوب الغربي من بناء مصوع وقد اشتهرت منذ القرن الثالث الميلادي، انظر يدين عبد المجيد عابد بن، بين الحبشة والعرب، ص13.

(2) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج3، ص357

ومن اليمن والجنوب العربي خاصة في القرون الأولى التي سبقت ميلاد السيد المسيح⁽¹⁾.

ومن الأهمية بمكان قبل دراسة ذلك الموضوع تفصيليا الإشارة إلى أن هناك بعض العوامل المباشرة والغير مباشرة التي حققت تلك الاتصالات بين الساحل الغربي الجنوبي والساحل الشرقي الإفريقي منها حقيقة قرب موقع المنطقتين حيث لا يفصلها غير مضيق ماء صغير سمي مضيق باب المندب الذي لا يتعدى عرضه الأربعة والعشرين كيلو مترا⁽²⁾، ولاشك إن مواجهة العناصر العربية في اليمن لشاطئ البحر دفعهم إلى ضرورة القيام بضاعة رسائل الانتقال في شكل قوارب أو سفن مناسبة تحقق عملية اجتيازهم نحو الساحل الإفريقي المقابل.

وقد عرف العرب قديما البحر واستخدموه بالإضافة إلى اهتمامهم بصناعة القوارب من المتوفر لديهم من جلود وذنوع الأشجار وكانوا يركبون البحر ويمخرونه بمجاذيف صغيرة وكبيرة⁽³⁾ ويمكن الاستدلال على قدم الصلات البشرية التي تعود إلى عصور ما قبل التاريخ إلى ما عثر عليه الباحثون من أدلة أثرية تثبت الاتصال بين حضرموت وسواحل شرق إفريقيا بشكل قوي ووثيق من العصر الحجري القديم حيث عثر على فنوس يدوية في حضرموت تشبه نظائرها في شرق إفريقيا مما دفع بعض الباحثين إلى اعتبار ذلك التماثل في تلك الأدوات إلى أسبقية وجودها في شبه الجزيرة العربية ومن ثم كان انتقالها إلى شرق إفريقيا⁽⁴⁾ حيث أدت تلك الهجرات المبكرة انعكاساتها الحضارية اللغوية

(1) فتحي غيث، الإسلام والحبشة، ص3

(2) أحمد فخري، دراسات في تاريخ الشرق القديم، مكتبة الانجلو المصرية، (القاهرة 1984) ط4، ص131.

(3) جورج فضلا، العرب والملاحه في المحيط الهندي، ترجمة يعقوب بكر، مكتبة الانجلو المصرية (القاهرة 1986)، ص23.

(4) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج2، ص351

والمادية في المراحل التاريخية التالية لأنها تستند على شواهد وأدلة تزاد وضوحا كلما اقتربنا إلى تاريخ الميلاد⁽¹⁾.

إلا أننا لا نعرف على وجه الضبط متى بدأت هجرات هؤلاء إلى الحبشة ولكنها بالتأكيد لم تكن اسبق من القرن الخامس قبل الميلاد⁽²⁾، ويرى بعض الباحثين أصل الحبشة من غرب اليمن من سفوح الجبال خاصة وأن في اليمن جبل يسمى (حبش) قد يكون لاسمه صلة بالحبشة الذين هاجروا إلى إفريقية وأطلقوا اسمهم على الأرض التي عرفت باسمهم⁽³⁾.

إذ نزحه فئة من عرب اليمن وحضرموت إلى أرض كوش حيث استقر بهم المقام فوضعوا حجر الأساس لدولة حبشية ذات مدينة وعمران ما فتئت أن أدركت من الحضارة درجة لم يكن لزنوج البلاد الأصليين أن يبلغوها لولا اندماج العرب بهم⁽⁴⁾ ومدلول لفظة حبشت أو الحبشة عند العلماء المحدثين هي اسم لبلاد في إفريقيا الشرقية استعمل العرب للدلالة على أرض إثيوبيا وشعوبها ولفظ إثيوبيا اسم قديم جاء ذكره في كثير من الكتابات الإغريقية وغيرها من المراجع التاريخية والدينية الهامة وهي مكونة من كلمتين (ايثن) وتعني حرق وكلمة (اوين) وتعني محيا أوجه أي الكلمة مأخوذة من الوجه المحرق أو المحترق⁽⁵⁾ ولقد اطلقتها بعض تلك المراجع القديمة وعلى رأسها (العهد القديم) على الممالك النوبية التي تأثرت بالحضارة المصرية القديمة وامتد بعضهم في إطلاقها إلى جميع سكان القارة الإفريقية جنوب الصحراء وأعالي النيل ولما كان الاسم في أصله اليوناني معناه (الوجه المحروق) فإن المؤرخين أطلقوه على جميع الشعوب التي يتدرج لونها من

(1) سبينوموسكاني، الحضارات السامية القديمة، ترجمة يعقوب بكر، دار الرقي (بيروت 1986)، ص 43

(2) اغناطيوس غويدي، محاضرات في تاريخ اليمن والجزيرة العربية، ترجمة إبراهيم السامرائي، دار الحداثة، (بيروت 1986)، ص 90

(3) ديبه عاقل، تاريخ العرب القديم، ص 93

(4) فيليب حتي، تاريخ العرب، ص 90

(5) بطرس اليستائي، دائرة المعارف، دار الكتاب الجديد (بيروت 1393 هـ)، ج 2، ص 527

السمرة إلى السواد بما فيهم الزنوج⁽¹⁾، ومن ناحية أخرى رأى بعض الباحثين إن لفظة حبش أطلقت على سكان تلك الأجزاء من شرق إفريقيا وعرفت باسمهم وذلك على اثر هجرات عربية مبكرة إلى هناك منها هجرات قبائل حبشت اليمينية⁽²⁾، نسبة إلى اسم جبل حبش الموجود في اليمن حيث نزحوا إلى الحبشة على شكل جماعة كبيرة وباختلاطهم مع الزنوج غلبت عليهم وعلى لغتهم ملامح هؤلاء ولفاظ لغتهم وكثير من عباراتها وتراكيبها ولكن لم تقدر لغتهم الزنجية على إزالة الأصل السامي فبقي من آثاره ما يدل عليه بعد التنقيب⁽³⁾ أما الإغريق فقد أطلقوا على إفريقيا تسمية ازانيا وأطلقوا على ساحل إفريقيا الشرق اسم عزانيا وهذه التسمية على ما يبدو جاءت نسبة إلى إحدى الممالك العربية القديمة وهي مملكة عزان التي يقال أنها وجدت في إحدى مناطق جنوب الجزيرة العربية في حقبة سبقت ظهور الإسلام وهاجر قسم من سكانها إلى الساحل الإفريقي الشرقي⁽⁴⁾ وقد عثر الباحثون على حجر مكتوب في حائط كنيسة قديمة بالقرب من اكسوم وإذا به كتب بالسبئية وفيها اسم الإله السبئية (ذت بعدن) وعثر على بقايا أعمدة في موضع (يما) الواقع شمال شرقي عدوة تدل على وجود معبد سبئي في هذا المكان كما عثر على مذبح سبئي خصص بالإله (سين) وعثر على كتابات وأشياء أخرى تشير كلها إلى وجود السبئيين في هذه الأراضي⁽⁵⁾، ويبدو إن لفظ الحبش أطلق في أول الأمر على طوائف المهاجرين من اليمن إلى هذه الأرض ولكن نظرا لكثرتهم وازدياد أهميتهم وتفوقهم على سكان البلاد الأصليين وكذلك لتغلب لغات هؤلاء المهاجرين على اللغة الأصلية في البلاد أصبح الاسم (حبشة) يطلق على جميع المنطقة فاختلط المهاجرون الذين ينتمون إلى الجنس السامي مع أهل البلاد الأصليين الذين ينتمون إلى الجنس الحامي وكان يطلق عليهم عندئذ قبائل

(1) فتحي غيث، الإسلام والحبشة، ص6

(2) عبد المجيد عابدين، بين الحبشة والعرب، دار الفكر، (القاهرة بلا)، ص27.

(3) عثمان، حضارة اليمن القديم، ص40.

(4) الشيخلي، صباح إبراهيم، تاريخ الإسلام في إفريقيا، مديرية مطبعة التعليم العالي (يفناد 1989)، ص16

(5) جواد علي، الفصل في تاريخ العرب، ج3، ص355

كوش⁽¹⁾ وتوحدوا معهم لكنهم ظلوا على ما يبدو يتطلعون إلى موطنهم الأصلي وكانت المصالح التجارية والسياسية دافعاً قوياً لاستثمار ذلك كلهما سنحت الفرصة ونجحت هذه الجماعات عبرة عدة سنوات في تأسيس مملكة مستقلة عرفت باسم مملكة اكسوم إن بدايات هذه المملكة كانت غامضة وغير واضحة وبقيت كذلك إلى أن تم اعتناقهم النصرانية حوالي منتصف القرن الرابع، أما روايات الإخباريين للأحباش فقد جعلت بداية مملكتهم قبل عشرة قرون من قبل التاريخ الميلادي تقريباً وإن أول ملك حكمها هو (منليك بن سليمان) وهو ابن ملكة سبا وهذه أسطورة ليس لها حقائق تؤيدها ولا تستند على أساس تاريخي في حين لم نخبرنا الكتابات الإغريقية عن مؤسسها شي إنما تتحدث عن ملك أتى من بعده يدعى (زوسكانس) عمل على توسيع مملكة اكسوم⁽²⁾ أما مصادرنا العربية والإسلامية فلا تذكر لنا عن مملكة اكسوم شيء ولا عن أحوالها وملوكها ((إذ لا يعرف العرب من سيادة الأحباش على اليمن إلا فتحها في أيام ذي نواس بأوائل القرن السادس للميلاد))⁽³⁾.

(1) فتحي غيث، الإسلام والحبشة، ص4

(2) اغناطيوس فويدي، محاضرات في تاريخ اليمن، ص90

(3) جرجي زيدان، العرب قبل الإسلام، ص130

المبحث الثاني

التدخل الحبشي في اليمن

يتبعون الدهر ليسوا تبع

ما لم ينل غيرهم معشر

ارتبط تاريخ اليمن بتاريخ الحبشة بنقل وقوعها على ضفتي المدخل الجنوبي للبحر الأحمر وازدادت العلاقات بين الشعبين وثوقا بفعل هجرات جماعات عرييه باتجاه الغرب يمر العصور⁽¹⁾ وما إن بدأت سمات الاستقرار تدب في مملكة اكسوم حتى بدأت بالتهية والتطلع لتستحوذ على الممالك العربية المطلة على ساحلها الغربي.

ويمكن ان نعد أول عملية عسكرية لمملكة اكسوم اتجاه العربية الجنوبية وجدناها مدونة في نصوص حبشية هو قيام هذه المملكة بإخضاع السواحل المقابلة لسواحلها وذلك بإرسال قوات برية وبحرية تغلبت على ملوك تلك السواحل من (الارحب) (ارحب) (Arrhabite) واجبرتهم على دفع الجزية وعلى العيش بسلام، ويرى بعض الباحثين ان المراد (Arrhabite) هم بدو الجزيرة⁽²⁾ على اعتبار انه يبعد عن مركز المدن والممالك المهمة في اليمن ولا يشكل الاستيلاء عليها ثقلا مهما إلا انه في حقيقة الأمر أصبح للأحباش موطئ قدم أهلهم للاستحواذ وضم أراضي أخرى، "ومما تجدر الإشارة إليه ان الأحباش قد ظهر لهم وجود على سواحل اليمن الجنوبية في الأماكن الخاضعة لسيطرة (اوسان)^(*) وطفقوا يتدخل ونفي الشؤون الداخلية لمملكة سبا"⁽³⁾، وذلك على اثر ظهور النزعات الانفصالية لدى بعض قبائل

(1) جواد علي، الفصل في تاريخ العرب، ج3، ص 357

(2) توفيق برو، تاريخ العرب القديم، ص 79

(*) اوسان، اسم ملكة من المملكة اليمنية القديمة كان لها كيائها واستمرت باستقلالها اثناء ضعف دولة سبا في اخر عهد المكارب واستطاعت فرض نفوذها على معظم سواحل الجنوب الغربي وكان لهم شأن كبير في بلاد العرب الجنوبية وانتهت هذه المملكة عام 115 ق م (محمد عبد القادر بافقيه، تاريخ اليمن القديم)، ص 22.

(3) سمسم، العلاقات بين شبه الجزيرة العربية، ص 72

بلاد العرب الجنوبية الراغبة في التحرر من سيادة الدولة السبئية والملاحظ إن العلاقات العربية الحبشية قد مرت في تلك الفترة بعدة مراحل تبدأ بمرحلة علاقات المسالمة والصداقة والتحالف من ناحية ثم مرحلة علاقات عدائية وحربية من ناحية أخرى^[1]

وهذا راجع بطبيعة الحال حسب مراحل الضعف والقوى التي كانت عليها تلك الممالك العربية التي دبت الفوضى في أرجائها ومزقت الحرب أوصالها وقد بين الدكتور جواد علي⁽¹⁾ خلال ترجمته لأحد النصوص السبئية والذي يعود إلى عهد الملك (علهان نهفان) إن ذلك الملك قد اتجه نحو الحبشة بعد انتهائه من الحرب التي أعلنها على حمير طالبا معاومتها السياسية بالإضافة إلى عقد حلف مع ملكها المعاصر له (جدرت ملك حبشت واكسن) (جدرت ملك الحبشة واكسوم) وقد تحقق ذلك عن طريق إرسال وفد سيئي فقام بتلك المهمة وتمكن من تنظيم تلك الاتفاقية المبينة على التعاون المشترك بينهما في حالتي السلم والحرب والرد على كل اعتداء يتعرض له الآخر ويبدو إن هذا الحلف لم يدم طويلا لأنه لم يرضي الطموح السياسي للأحباش لأنهم ((أصبحوا طرفا معترفاً به في إحداث الدائرة آنذاك في اليمن أما علهان نهفان فيبدو إنه كان مشغولا بمحاولة شكم الحميريين ومن أجل ذلك حالف الأحباش))⁽²⁾ وكما يشير عبد المجيد عابدين⁽³⁾ إن العلاقة بين الأحباش والسبئيين في تلك الفترة كان يسودها عنصر المسالمة السياسية وإن الأحباش اشتركوا في حروب في بلاد العرب الجنوبية من أجل توطيد نفوذ حليفهم وإنهم كانوا تحت قيادة نواب للملك جدرت الذي لم يشترك هو بنفسه في تلك الحروب واستطاعوا في نهاية الأمر من اتخاذ مدينة سهرت⁽⁴⁾ قاعدة لهم في بلاد العرب.

(1) جواد علي، الفصل في تاريخ العرب، ج3، ص358

(2) بافقيه، تاريخ اليمن القديم، ص103

(3) عبد المجيد عابدين، بين الحبشة والعرب، ص34

(4) (أيما هي سهرت نسبة إلى ذو سهرة أحد القبائل العربية النافذة في بلاد العرب الجنوبية، بجوار أرض وادي سهام (جواد علي، الفصل في تاريخ العرب، ج2، ص447).

وفي فترة حكم الملك شعراوتر بن علهان نهفان الذي حكم في حوالي النصف الأخير من القرن الأول قبل الميلاد، اتسمت العلاقة بين الطرفين في بدايتها بطابع التحالف ولكن ذلك الموقف السياسي لم يستقر إذ سرعان ما تحول الأحباش إلى فض نفوذهم وتحكمهم في شؤون البلاد مستغلين انشغال الملك بحروبه مع (العز) ومع (بني رومان) فقاموا بالإغارة على أحد قواده وهو أسد اسعد وأصابوه بأضرار كبيرة وأصابوا أراضى أخرى تابعة للملك شعراوتر⁽¹⁾ مما اضطره إلى تجهيز الحملة تلو الحملة من أجل وقف النفوذ الحبشي ومعاقبة القبائل العربية النائرة ضده التي تساندها الجيوش الحبشية وجاء في أحد النصوص التي عثر عليها وهي تدون لإحدى الأحلاف:

1. وقيم/اذرح/بن/علهن/نهفن/هقنى/المقه/ثهن/يعل/اوم/حلمن/وترون/ذ
ذهن/يوم/هو صهو/مر/همو/شعرم/وتر/ملك/سبا/وذ
ريدن/لشرح/وقرن/شعين/حشدم/بضر/ضررو/احبشم/وذكون/
كونهمو/بن/سدهرن/وخوان.

2. وكرن/بعمهو/اعرين/ذيناو/واهل/شعين/حشدم/ذعبرو/عدى/ذت/
سلموا/احبشم/بخمس/مان/وثنى/الفن/بن/اعرين/سيرن/ذو عرن/
بمعرب/حشدم/وهعن/بعد/همهو/وفيم/ويعمهو/سبعى/ومات/اسدم/بن
ارين/اعرين/وهرجو/وهقندر/منهو/خمس/مان/سبيم⁽²⁾.

وترجمة هذا النص في العربية:

1. وفي اذرح بن علهان نهفان ملك سبا وريدان قدم تقريبا لهيكل المقه (تهوان) سيد
اوام تمثالا لثور من الذهب بمناسبة المرسوم الذي اصدره اخوه سيده شعراوتر
ملك سبا وريدان بأن يتولى قيادة جيش مكون من قبائل حاشد وسوهر وخولان
وغيرهم لقتال قبيلة حبشت.

(1) جواد علي، المقفل في تاريخ العرب، ج3، ص 368

(2) سمس، العلاقات العربية، ص 80

2. وكان معه قبائل أخرى من عرب الأبناء وسيران وذي عرن حيث صار مجموع جيشه 2500 مقاتل علاوة على كتيبته الخاصة المكونة من 170 مقاتلاً عربياً وقد تمكنوا من دحر العدو وأحرزوا من السبئي عدد خمسمائة.

والذي يتضح من النص إن صاحبه هو اذرح بن علهان نهبان شقيق الملك الذي كان يتولى قيادة حبش الملك المكون من قبائل حاشد وسوهر وولان مع عرب الأبناء وسيران وذي عرن وذلك من أجل مقاتلة الأحباش وتبكين من الانتصار عليهم واسر خمسمائة منهم⁽¹⁾.

أما في حكم الملك الشرح يحضب بن فرعم ينهب فتجد إن الأحباش قد تحالفوا مع (شمر ذي ريدان) لمساعدته في حروبه مع (الشرح يحضب) فأمره (جرمت ولد نجشين) (جرمة ولد النجاشي) بكتائب حبشية محاربة ترأسها هو بنفسه مما حمل الملك الشرح يحضب على السير إليه لمقابلته متراًساً قوة قوامها ألف محارب وستة وعشرون فارساً فأصطدم ببعض قوات (شمر) وتغلب عليها وأخذ منها أسرى وغنائم⁽²⁾ إلى ذلك إشارة نص النقش رقم (59).

ال شرح / ... بين / فرعم / ينهب / ملك / سبا / هقنى / المقه / ثهون / بعل / اوم /
حليتن / ذحرفن / حمد / بدت / حمر / وهوشع / عبدهو / ال شرح / يحضب / ملك / سبا /
وذريدن / بنقم / حبشن / وذسهرتم / يحريت / جريو / يقرهمو / يسرن / ذسهم /
وبعدو / فيضبا / ال شرح / يحضب / ويهمهو / ذيل / خمسهو / واقوللهو / بعل /
احزب / حبشت / واعمدو / عدى / احنو / سرن / سررد / ويحريو / همت / احبشن / وذ
سهرتم / بكدن / ذو دفتن / ووديفن / وفرشت / ثقح / وحرىو / بهميت / اككدن /
خمس / وعشرى / دورم / بن / ادور / اكسمن / ولدن / وعكم / وذبن / ادور / وحمد /
وغنم / واحاليم / وسبيم / وملتم / ذعم / ذهرخوهمو / وبعد / ذتاو / و / عدى / جرين
/ صنعو / فهدركوهمو / تنبلتم / عمن / غمدن / تضرعم / وعريتم / ووهيو / اولدهمو /

(1) سمسم، العلاقات العربية، ص 81

(2) جواد علي، الفصل في تاريخ العرب، ج 2، ص 340

اوثقم/وكونو/ملك سبا/وهجران/ثح/فوهو/ارتقم/ومقبلهو/ولوزا/المقه/
 ثهون/بعل/اوم/هوشفهمو/بوضع/وثير/همس/كل/ضرهمو/ونهاهمو/بالمقه ثهون
 بعل اوم⁽¹⁾.

وترجمة هذا النص هو/

ال شرح يحضب واخيه يازل ملكى سبا وذى ريدان بني فرع ينهب ملك سبا
 قدموا ثمالين من الفضة لثلاثة المقه حمداً لأنه نصرهم في الانتقام من الحبشة
 والذين ساعدوهم وكانت هذه المعارك في وادي سهام ووادي سررد وقد استمرت
 الحرب (25) دوراً أو مرة من ادوار اكسوم وعك وحماً ثلاثة المقه حيث عاد الملك
 واقباله وجيشه من القريسان والمشاة بسلام وغنائم وسبايا ووصلوا بمن سبوا إلى
 صنعاء وادركوا تنبله عمان وغمدان فتضرعوا أي خضعوا وقدموا اولادهم رهائن
 ولبيدهم المقه مساعدة ال شرح يحضب بوضع هلاك كل عدو وثاني بالمقه هذا وقد
 صارت الرهائن للملك ربما يكونوا عبيده⁽²⁾.

اما النص رقم (58) فيعد أهم النصوص التي تؤرخ لتلك المرحلة بما
 احتوت من صراع بين الممالك والأسر اليمنية الحاكمة بعضها ببعض وبين
 الأحباش الذين يقاتلون حسب مقتضيات مصالحهم الشخصية ويبين بوضوح مقدار
 التوغل لهؤلاء الأحباش في بلاد اليمن إذ يورد النص /

ال شرح / يحضب / واحيهو / يازل / بين / ملكي سبا / وذريدن / بوضع /
 وثير / وهمسن / وهكمن / كل / ضر / ذيزان / يفعهمو ابن / شامت / وعدهمو /
 كي صرينهمو / ملك / حضر موت / يعبر / مراهمو / املك سبا / ووعدهمو /
 شعبن / نجرن / ثنى / ورخين / لتصرين / يعبر / امراهمو / املك سبا / ويتاولن /
 ملكن / ال شرح / يحضب / واقوئهو / وخمسهو / عدى / هجرن / ويشمو / كنبلو /

(1) عنان، تاريخ حضارة اليمن القديم، ص 318

(2) عنان، تاريخ حضارة اليمن القديم، ص 318

همو / اجرن / بعير / احزب / حبشت / لهنن / عقب / نجشين / بهجرن / وشعين /
نجرن / وهمو / فنصرو / موعد / احرن / لتصرين / بعير امراهمو / املك / سبا /
عجخوهو / بموعدهمو / نوفم / بن / همدن / وذغيمن / وصمو /

ونصرهمو / وذبن / شعبنهن / وغيمن / وارب / عشرهو / افرسم / ويحريهمو
/ بسرتهن / نجرن / ويمنت / ويحرم / ويبسم / وحمد / بدت / هوشعهمو /
/ بمقيحتم / صدقم / وحمد / بدت / خمر / المقه / عبدهو / آل شرح / يحضب /
ولدت / نعمت / وتنعمن لهمو / ولبيتن / سلحن / وغمدن / وليش / ويضرع /
وضرعن / وهمس / وهكسمن / كل ضر / وشنا آل شرح يحضب / وأخيهو / يازل /
بين / ملكي / سبا / وزيدن / بنى / فرعم ينهب / ملك / سبا / بعثتر / وهوبس /
والمقه / ثهون / بعل / اوم وب. انقطع.

وترجمتها بالعربية:

هذا اكبر نقش وهو مهم جداً وللأسف الشديد إن أوله مفقود بسبب
الخراب وفيه وصف المعارك التي دارت ضد الحبشة في عدة أماكن ضد نجران
وحلفائهما وفي هذه الأماكن مدينة ذمار حيث انتصروا وغنموا وسبوا ثم عادوا إلى
مدينة نعض وإلى صنعاء بسلام ولكن الحراب لم تنته فقد سار الجيش في صنعاء
للاقاء ولد النجاشي ملك الحبشة واسمه رومة (في النفس هذه العبارة، ولد نجشين
ملك اكسمن بن اكسوم تنبلة) وقد اقتصر جيش آل شرح وانتقموا من جيش
الحبشة وفي ساعدهم واخذوا الأولاد والبنات مكبلين، وكان من بين القواد في جيش
سبا نوف بن همدان وذو غيمان واشترك شعب حاشد وشعب غيمان في جميع المعارك
واشترك ملك حضرموت في المعارك واخضعوا شعب نجران وينكر في النقش إنهم
حاربوا خمسة أديرة أو أمم أو خمس مرات وحاصروا مدينة ضريان مدة شهر وقتلوا
منهم (924) جنديا واسروا (562) واخذوا أو دمروا (2000) عموداً لعلها مما يشرع
عليها العنب كما جرحوا أو قتلوا في وادي نجران (68) ودمروا (97) بئراً أي دفنوها
انتقاماً من أصحاب الذين كثوا العهد وعادوا بسلام والغنائم المرضية لسيدهم ال

شرح يحضب ملك سبأ وذي ريدان ولقد منحهم ألمقه بان وضع وأهلك كل عدو ولعلمهم أعطوا مهلة لشعب نجران مدة شهرين ثم أنهم حاربوا في أرض نجران والشام إي الشمال وفي البر والبحر أو الذين جاءوا من البحر وهم الحبشة ولكن قد وجدنا في نقش آخر أنهم تعقبوا العدو في البحر وهذا يدل على وجود سفن كبيرة تحمل الجنود ومعلوم انه كان لليمن أسطول تجاري منذ زمن بعيد، ويذكر في النقش احزاب الحبشة ويمكن انه يعني من انضم إليهم، ثم يتوجه ال شرح بالشكر لجيشه وشعبه وينعم عليهم وحمدوا ألمقه لأنه صدق مع عبده ال شرح يحضب بهذا النصر وجيشه ولان ألمقه انعم عليه أيضاً وعلى القصرين سلحين وغمدان وفي الأخير يسال ألمقه بان يصرع ويهمس كل عدو ويأغض للملك ال شرح يحضب وأخيه يازل ملكي سبأ وذي ريدان بني فرع ينهب بعثتر وهويس وألمقه تهون بلع أوم وب انقطع لكن هذه العبارات الأخيرة تكون خاتمة للتوسل.

المبحث الثالث

الاحتلال الحبشي الأول لليمن

ببليقيس كان الملك في أرض مأرب وراثه أجداد كرام المعاطس

ازدهرت مملكة الحبشة في القرون الميلادية الأولى وأخذت في النمو والتوسع على حساب المناطق المجاورة لها في الشمال والجنوب والشرق وأصبحت من القوى ما مكنها من تهديد الممالك العربية المقابلة لها على الساحل وفي هذه المرحلة التوسعية من مراحل تاريخ مملكة اكسوم دخلت المسيحية للحبشة عن طريق بعض المبشرين فيما يقرب من عام 320م وأصبحت المسيحية الدين الرسمي للمملكة الاكسومية وكان ذلك على يد القديس (فرومانس)⁽¹⁾ الذي عمل على بناء الكنائس وقامت علاقات جيدة مع الرومان ومع بداية القرن الرابع الميلادي كانت مملكة اكسوم قد وصلت إلى غاية قوتها في عهد ملكها (عزانا EZana)⁽²⁾ الذي تك لحسن الحظ طائفة من المخطوطات التي تلقي بعض الضوء على علاقاته مع جيرانه وكيف تخلصت في عهده مملكة اكسوم من سيطرة اليمن وكذلك دلت تلك المخطوطات على علاقة قائمة مع الإغريق حيث كتبت بعض تلك المخطوطات باللغة الإغريقية⁽²⁾ ومن الجدير بالأهمية الإشارة إلى نص حبشي عثر عليه في عدولتي بأرض الحبشة وهو مكتوب باللغة اليونانية ويتحدث عن حروب احد الملوك الاكسوميين وفتوحاته في الشرق والجنوب ثم انتقل بعد ذلك إلى بلاد العرب عابراً البحر ليحارب قبائل العرب الجنوبيين والأنباط ورغم اختلاف الباحثين حول تاريخ ذلك النص إلا أن كوئتي رونسيني اثبت انع يعود إلى القرن الثالث الميلادي وكذلك اثبت إن صاحب النص هو الملك افيلاس الذي كان حكمه نهاية

(1) اغناطيوس غويني، محاضرات في تاريخ اليمن، ص 90

(2) عزانا، وهو ابن الملك (الاعميدا) هو أول ملك تنصر من ملوك هذه المملكة وذلك لعثور الباحثين على آثار تعود

إلى عهد تربينا القديمة منها انه كان وثنيا وترينا الحديثة منها انه كان نصرانياً مما يدل على انه كان وثنيا في

اوائل ايام حكمه ثم اعتنق النصرانية فادخله شعارها في مملكته (جواد علي، المفصل في تاريخ العرب ج 3، ص 356

(2) فتحي غيث، الإسلام والحبشة، ص 39

ذلك القرن⁽¹⁾، على إننا نستفيد من كتب اليونان والسريان وغيرهم إن الأحباش أخذوا يستخفون بالحميريين ويطمعون في بلادهم من أوائل النصرانية على اثر تضعض السبائيين وذهاب دولتهم وتفرق كلمتهم والأحباش يومئذ في أبان سطوتهم⁽²⁾.

أما فيما يخص الممالك العربية في اليمن فقد عدت هذه الفترة من اشد الفترات تعقيداً في التاريخ القديم وذلك لان الفجوات القائمة فيما بين النصوص التي وصلت إلينا تجعل من الصعوبة بمكان محاولة ترتيبها للحصول على صورة عامة عن الفترة التي تمثلها ويختلف الدارسون حول زمن بداية هذه الفترة التي تعود معارفنا بها الى نقوش تمثل وجهه النظر السبئية⁽³⁾ ومن المعروف إن الفترة التي تمتد ما بين تاريخ وفاة شمريهرعش والاحتلال الحبشي الأول لبلاد اليمن في سنة 340م فترة غامضة في تاريخ العربية الجنوبية بل إن خبر احتلال الحبشة لليمن لم يعرف إلا من كتابات عشر عليها في اكسوم عاصمة مملكة اكسوم القديمة ففي هذه الكتابات لقب نجاشي⁽⁴⁾ الحبشة بملك اكسوم وحمير وذو ريدان والحبشة وسبأ وصلح وتهامة والبعاء وكسو⁽⁵⁾ ويبدو إن دخول الحبشة لليمن كان على شكل مراحل التسمت بالبطيء وذلك تبعاً لمراحل الوهن والضعف التي كانت عليها الدولة والظاهر من الحروب الكثيرة التي تشير إليها كتابات هذا العصر إن هذه الحقبة الزمنية كانت مرحلة تحول هامة في تاريخ اليمن فقد سادت الاضطراب وقامت الثورات في كل مكان وبدأ يظهر أطماع الرومان والأحباش⁽⁶⁾ فيها أما الرومان فقد سبق وان حاولوا الاستحواذ على خيراتها إلا أنهم فشلوا في ذلك ونعني بها حملة اليوس جاليوس التي انطلقت من مصر، أما الأحباش فقد ظلت أعينهم

(1) سمس، العلاقات العربية، ص 118

(2) جرجي زيدان، العرب قبل الإسلام، ص 131

(3) بافقيه، تاريخ اليمن القديم، ص 81

(4) النجاشي، تعريب نجوس بالحبشية وتعني الملك (جرجي زيدان، العرب قبل الإسلام، ص 131).

(5) عبد العزيز سالم، تاريخ العرب قبل الإسلام، ص 55

(6) سعد زغلول، في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص 194

ترقب ما تسفر عنه الحروب بين القبائل والممالك اليمنية ليكون لهم في النهاية القول الفعل والواقع إن القرن الرابع الميلادي بدأ في اليمن باجتياح حبشي في عهد النجاشي (العلي اسكندي) بفعل دافعين هما الدافع الاقتصادي والدافع التأديبي ففيها يتعلق بالدافع الأول فقد نهضت الحبشة للدفاع عن مصالحها الاقتصادية في وجه الوثبة الحميرية للسيطرة على طرق التجارة الشرقية ومهاجمة الحميريين التجارة الحبشية، وجاء الدافع الثاني رد فعل على سيطرة الحميريين على ساحل ازانيا في القرن الأول الميلادي فأراد الأحباش تأديب هؤلاء ومنعهم من تكرار ذلك⁽¹⁾ ومن الثابت إن الحميريين استولوا على بلاد الحبشة في القرن الأول قبل الميلاد⁽²⁾، أما الدكتور سهيل زكار⁽³⁾ فقد ذهب إلى أن السبب الرئيسي للحملة هو قيام هبة شمريهرش من غزوات وصلت إلى شمال الجزيرة وشمالها الغربي حيث اقتربت من تخوم الروم مما اقضى مضاجعهم عندما شعروا بأن حدودهم الطويلة مع عرب الجزيرة أصبحت مهددة لهذه التحركات العسكرية لذا فلم يكونوا بعيدين للأعداد لحملة تضرب سلطان حمير في الجنوب للتخلص من قوتهم فغزا الأحباش اليمن وقريباً من هذا الاستنتاج قال أحد الباحثين إن سبب الحملة الحبشية على اليمن يعود إلى التنافس بين الروم والفرس للسيطرة على الجزيرة العربية حيث قامت بيزنطة بمحاولة جديدة في عهد الإمبراطور جستنيان ترمي إلى الاستيلاء على اليمن ولكن دون التدخل المباشر وإنما بتحريض الأحباش على غزوها ولعل جستنيان اتخذ هذه الخطوة نتيجة لإطماع الفرس التي ازدادت في الجزيرة العربية بحيث أنهم استقروا في ساحل الخليج واستحوذوا على البحرين⁽⁴⁾ فيما ذهب فريق من الباحثين إلى أن السبب لتلك الحملة يعود لضعف الدولة الحميرية نتيجة لفقدائها التفرد بالطريق البحري ((بدأت قوة عرب الجنوب تنزل من عليها وكان ذلك نتيجة مزاحمة الرومان لهم في نقل التجارة البحرية مزاحمة شديدة ويسبب

(1) طقوش، تاريخ العرب قبل الإسلام، ص 308

(2) صالح العلي، محاضرات في تاريخ العرب، ص 27

(3) سهيل زكار، تاريخ الوطن العربي القديم، ص 94

(4) عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسي، ج 1، ص 72

عدم تركيزهم على الطريق البرية⁽¹⁾، ومهما تكن الأسباب فإننا نجد من الصعوبة بمكان تحديد تاريخ بعينه يمكن أن نطمأن إليه ونعده البداية الفعلية لاستيلاء الأحباش على اليمن وذلك بسبب عدم عثورنا على نص يؤرخ لهذه الحادثة بالتحديد إلا أننا وجدنا الكثير من الإشارات تدل على ذلك الغزو ولكن من غير معرفته تاريخه يقول جواد علي⁽²⁾ ((ويظهر أن الحبش كانوا قد تمكنوا من دخول (ظفار) عاصمة حمير وذلك فيما بين السنة (190) و(200) بعد الميلاد وذلك في أيام (يعزز يهنف يهصدق) ولا ندري إلى متى بقوا فيها والظاهر إن حكمهم كان قصيراً فيما ذهب بعض الباحثين ومنهم كاسكل الذي عثر على بعض النصوص اللحيانية في فترة حكومتها المتأخرة مدون عليه أسماء بعض الأشخاص ذهب إلى أنهم كانوا من العنصر الحامي الإفريقي وإن معظم تلك النصوص قد دونت في الفترة ما بين مدينته لويكه كومه وحدود مملكة سبأ ونزول الحبش في هذه الاراضين⁽³⁾) ويؤخذ من مصادر أخرى إن نجاحيا آخر حمل على اليمن في أواخر القرن الثالث ففتح بعض تهامة وسهل العلامات التجارية بينهما فتعاون الحميريون عليه وغلبوه على ما في يديه وأخرجوه من بلادهم ولم تمنحني خمسة سنة أخرى حتى عاد الأحباش⁽⁴⁾ إذن فمن الناحية السياسية فإن تسرب الأحباش إلى اليمن كان نتيجة للصراعات الداخلية إذ حاولوا احتلال اليمن مرات عديدة ونجحوا في الحصول على موطن قدم لهم في بعض المدن الساحلية كان آخرها عام 345م وقد اثبت ذلك ما جاء في الكتابات الحبشية الأثرية التي أصبحت تطلق على ملوك الحبشة لقب ملوك اكسوم وحمير وريدان وتهامة⁽⁵⁾ ويرى بعض الباحثين إن الحبش استولوا على العربية الجنوبية بعد وفاة (شمر يهرعش) في أيام حكم الملك الحبشي (عذبة) على ما يظن وكان هذا الملك على صلات حسنة بالرومان وكان ذلك الغزو في عهد (بريم يرحب) الذي فرو أبناؤه إلى يثرب فتأثروا باليهودية بسبب

(1) نبيه عاقل، تاريخ العرب القديم، ص 94

(2) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج 3، ص 385

(3) سمسم، العلاقات العربية، ص 112

(4) جرجي زيدان، العرب قبل الإسلام، ص 131

(5) برو، تاريخ العرب القديم، ص 82

وجود بعض البطون المتهودة هناك⁽¹⁾، واستمر الاحتلال الحبشي لليمن أقل من أربعين عاماً إذ أخذت قبضة الأحباش على البلاد تهن وتراجع بسبب ثورة نشبت في جنوب الحبشة وقد حاول الإمبراطور البيزنطي أن يدعم الاحتلال الحبشي والنفوذ البيزنطي في اليمن فأرسل في عام (354م) تقريباً الراهب تيوفيلوس الهندي من جزيرة سقطري للتفاوض مع الحميريين في مهمة ظاهرها ضمان حرية العبادة للنصارى الروم القاطنين في اليمن وحقيقتها ضمان حسن معاملة اليمنيين للتجار البيزنطيين واتخاذ موقف محايد بين بيزنطة والفرس غير إن المهمة فشلت لأن الأمراء الاحميريين كانوا يرون إن بيزنطة تساند الحبشة عدو حمير التقليدي⁽²⁾.

وفي عهد الملك كرب يهأمن الذي ورد اسمه واسم ابنين له وهما أبو كرب اسعد ورامر ايمن بوصفهم ملوك سبا وذوي ريدان وحضرموت ويمنت في نص سجل فيه خبر إقامتهم معبداً للإله ذي سموي (رب السماء) مؤرخ بالتقويم الحميري في سنة 493 حميري الموافق لسنة 378م ومن المحتمل أن يكونوا فعلوا هذا في مقام الشكر لرب السماء الذي وفقهم إلى طرد الأحباش واستعادة السلطان⁽³⁾ وقريب من هذا التاريخ (378م) الذي أشار إليه معظم الباحثين على أنه تاريخ انتهاء حكم الأحباش على بلاد اليمن يورد جرجي زيدان⁽⁴⁾ جدولاً بأسماء ملوك الحبش ومن عاصرهم من ملوك حمير حسب أوليات الإخباريين العرب فيقول ((ووافق الحميريين من ملوك الأحباش ملك اسمه (العلي اسكندي) حارب التهدهد ويلقيس وفتح اليمن سنة 345 بمساعدة قيصر الروم قسطنطيوس رغبة في نشر النصرانية وتولى الحبشة واليمن بعد العلي عميده أولاده وهم عيزاناس حكم سنة 348-365 وسازاناس من 350-374 وهو آخر من تولى اليمن في هذه العائلة فعادت إلى أصحابها الحميريين)) ويعزو الأستاذ صالح أحمد العلي⁽⁵⁾ سبب خروج الأحباش من اليمن إلى

(1) سهيل زكار، تاريخ الوطن العربي القديم، ص 81

(2) طقوش، تاريخ العرب قبل الإسلام، ص 308

(3) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج 2، ص 441

(4) جرجي زيدان، العرب قبل الإسلام، ص 132

(5) صالح العلي، ومحاضرات في تاريخ العرب، ص 28

انتفاضة جماهيره الكبرى قام بها أهل اليمن يتزعمهم رجال الدين الوثنيين فيقول ((إن رجال الدين المتعصبين للوثنية تعاونوا مع اليمانيين على مقاومة الأحباش النصراني الغزاة واستطاعوا إخراجهم سنة 37م وإعادة الوثنية إلى مكانها الأول)).

فيما ذهب بعض الباحثين إلى أن سبب خروج الأحباش من اليمن يرجع إلى حدوث انتفاضة في جنوب مملكة أكسوم ضد الملك سازانا مما أحدث إرباك داخل القوات الحبشية التي سارعت للقضاء على تلك الثورة وإخمادها مما اتاحه للملك الحميري (كرب يهأمن) انتهاز هذه الفرصة فثار على الاحتلال الحبشي وتمكن من طردهم واسترداد البلاد⁽¹⁾.

(1) طقوش، تاريخ العرب قبل الإسلام، ص 308

الفصل الثالث (3)

الاحتلال الحبشي لليمن

* المبحث الأول / الصراعات الدينية في اليمن

** المبحث الثاني / الأوضاع السياسية في اليمن

*** المبحث الثالث / حملة الأحباش الثانية على اليمن

المبحث الأول

المباحث الدينية في اليمن

تقد رأيت من كل شيء وأعطيت من الملك ما لم ينط عمر بن حابس

من المتعذر بمكان إن نجزم بطبيعة الحياة الدينية في اليمن بعد انجلاء الغزو الحبشي الأول عنها، فلطالما أدى قهر مدينة أو شعب إلى قهر ألهتها معها وموتها وإلى عبادة آلهة القاهرين المتغلبين باعتبار أنها أقوى وأعظم شأنًا من آلهة المغلوبين التي لم تتمكن من حمايتهم من تعديات الغالبين وقد تبقى تلك الآلهة فتندمج في آلهة المغيرين فيزداد بذلك العدد وتعدد الآلهة وتختلط الأساطير بعضها ببعض⁽¹⁾ وفي هذه المرحلة التاريخية دخلت الديانتان المسيحية واليهودية إلى هذه البلاد أضف إلى ذلك ما كان سائد ومتوارث من معتقدات دينية قديمة لها علاقة بالفلك، أي إنها تقوم على عبادة آلهة تجسدها أجرام سماوية تمامًا كبقية الشعوب العربية أو السامية الشمالية ومهما اختلفت أسماء الآلهة عند قبائل اليمن وممالكها إلا أنه إدراجها تحت أحد أجزاء ثالوث يتكون من الزهرة والشمس والقمر⁽²⁾، وقد أشار القرآن الكريم إلى عبادة الجاهلين للشمس والقمر بقوله تعالى {وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنِّي ائْتَمْتُكُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} (3) صدق الله العظيم.

ويتفرد القمر في بلاد العرب قبل الإسلام بالكثرة المطلقة من الأسماء والألقاب باعتباره هو الأب السماوي وزوج الشمس واتخذوا الثور رمزاً له في النصوص اللحيانية والشمودية ولعل لذلك علاقة بقرنيه الذين يشبهان الهلال، ولأجل ذلك عد من الحيوانات المقدسة التي ترمز إلى الآلهة وجسده عبادة صنما كانوا يسجدون

(1) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج 6، ص 9.

(2) عبد القادر يافقي، تاريخ اليمن القديم، ص 202.

(3) القرآن الكريم، سورة فصلت، آية 37.

له ويصومون من أجله أياما معلومة في كل شهر ثم يأتون إليه ومعهم طعامهم وشرابهم فيقيمون عنده بفرح وسرور⁽¹⁾.

أما الآلهة الشمس فغالبا ما تبدأ بلفظ ذات وسميت في النصوص المعينية باسم (نكرج) وهو اسم غريب غامض وعند السبئيين ذات حميم وذات بعدن وذات غضرت وذات برن وذات ظهرت، وفي النصوص القتبانية ذات صنتم وذات صهرن وذات رحبن وتدل هذه الأسماء كلها على السخونة الشديدة والحرارة المتقدمة⁽²⁾، والظاهرة الملقطة في الديانة العربية الجنوبية هي اعتبار آلهة الشمس (أما) فهي زوجة القمر وأم عثر، ولعل مصدر هذه الفكرة أسطورة الأسرة، فألهة الشمس العربية تقابل عند الساميين الشماليين الآلهة أم الزهرة المسماة عثر وزوجة القمر، والواضح إن حركات القمر كقريه من الشمس أو بعده عنها واختفائه ثلاث ليال شهريا حمل العربي الجاهلي على الاعتقاد بان ذلك زواج سماوي⁽³⁾، وقد أشار القرآن الكريم بوضوح إلى إن أهل اليمن كانوا يعبدون الشمس في عهد نبي الله سليمان عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام حين كانت تحكم بلقيس قال تعالى: {وَجَدْتَهُمَا وَقَوْمَهُمَا

يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ وَالشَّمْسِ لِدَاوُدَ وَإِلَّا إِلَهِ الْوَزِيرِ} أَلْهَمُوا لَشَيْطَانٍ أَعْمَلَهُمَا فَبَصَدَّهُمْ عَنِ

السَّبِيلِ} أَلْهَمُوا لَهَا يَهْتَدُونَ⁽⁴⁾ والشمس من الأصنام التي تسمى بها عدد من الأشخاص فعرفوا بـ(عبد شمس) وأول من تسمى به سبأ الأكبر ابن يشجب لأنه أول من عبد الشمس فدعي بعبد شمس⁽⁵⁾ وقد جاء في نص سبئي عثر عليه في مدينة صرواح إن صاحبه قدمت إلى الآلهة أم عثر أي الشمس أربعة تماثيل من ذهب،

(1) الألوسي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ج2، ص266.

(2) ديتليف نيلسن، التاريخ العربي القديم، ترجمة فؤاد حسنين على، مكتبة النهضة (القاهرة 1993)، ص219.

(3) يحيى، العرب في العصور القديمة، ص384.

(4) القرآن الكريم، سورة النمل، آية 24.

(5) ابن الكلبي، أبي المنذر هشام بن محمد بن السائب، الأصنام، تحقيق أحمد زكي، الدار القومية للطباعة والنشر

(القاهرة 1965)، ص110.

لأنها وهبتها أربعة أطفال، ولد وثلاث بنات كلهم أحياء يرزقون راجية أن تستمر في الإنعام عليها وعلى ابنها وبناتها بالصحة والعافية⁽¹⁾.

وقد ذكر بن عبدة الشمس كانوا قد اتخذوا لها صنما بيده جوهر على لون النار وله بيت خاص قد بنوه باسمه وجعلوا له الوقوف الكثيرة من القرى والضياح وله سدنه وقوام وحجبة يأتون البيت ويصلون فيه لها ثلاث مرات في اليوم، إذا طلعت الشمس سجدوا كلهم لها وإذا غربت وإذا توسطت الفلك⁽²⁾، أما نجم الزهرة فقد جاء في النقوش باسم عثر كما ورد في تراكيب بعض أسماء الأفراد (اوس عثر) و(لحي عثر) وأضيفت على ذلك المعبود أوصاف مختلفة مثل ذو قبض وشرق، ولتقدم ذكر اسمه في الصيغ التي تجمع أسماء الآلهة الأخرى يعتقد أنه كان لها أثراً لدى متعبيه ولا يستبعد أن وراء الترتيب دلالة معينة خافية علينا نجعلنا بالأفكار والأساطير التي لم تصل إلينا⁽³⁾، وقد ذكر ابن الكلبي مجموعة من الأصنام قيل أنها كانت تعبد في اليمن إلا أنه استطرده قائلاً ((وتم اسمع له ذكراً في إشعارها ولا إشعار أحد من العرب وأضن ذلك لانتقال حمير أيام تبع عن عبادة الأصنام إلى اليهودية))⁽⁴⁾ إلى أنه مع ذلك يؤكد أنه كان بصنعا بيت مقدس يقال له (ريام) يعظمونه ويتقربون عنده بالذبائح وكانوا فيما يذكرون يكلمون منه فلما انصرف تبع من مسيرة الذي سار فيه إلى العراق قدم معه الحبران اللذان صحباه من المدينة فأمر بهدم رثام قال شأنكما به فهدماه وتهود تبع وأهل اليمن⁽⁵⁾ من خلال هذه الرواية التاريخية نستنتج إن الديانة اليهودية كان لها قدم السبق في الانتشار في العربية الجنوبية وقد وجدت بعض النصوص وقد دون عليها جملة (دسموى) مع الإله (تائب ريام) رب قبيلة (همدان) ويدل ذكر اسم هذه الإله مع اسم

(1) مرقوش، تاريخ العرب قبل الإسلام، ص 240

(2) جواد علي، الفصل في تاريخ العرب ج 6، ص 265.

(3) عبد القادر بالقي، تاريخ اليمن القديم، ص 202

(4) ابن الكلبي، الأصنام، ص 11

(5) المصدر السابق، الأصنام، ص 11.

الله أخر على إن عقيدة التوحيد لم تكن قد تركزت بعد وإنها كانت في بدء تكوينها فلما اختمرت في رؤوس القوم ذكرت وحدها.

فيما تشير النصوص المكتشفة إن أهل اليمن كانوا يستجيرون بالإله الملقه وهي اله القمر إذ ما أجدبت عليهم السماء ونقط المطر، وكما هو مبين من خلال هذا النص:

شعين/سبأ/ركهن/هقنو/المقه/صلمنهن/ذوهين/حمدم/بذنت/ه
وفيهمو/املا/وهوت/ستوكلوا/ينعم/مراهمو/المقه/بعل/اوم/لقبلى/ذهخت/
برق/خرف/تبع كرب/ودد الى/بن/حزفرم/ثلثن تبشرم/واكلاهو/بيوم/
اريعم/ذفقحى/ورخ/ذملت/ذمذن/خرفن/وطموهوت/ورخن/ذملت/ولوزا/
المقه/ثهون/بعل/اوم/خمر/وهوفين/ادمهو/شين/سبأ/كهلن/بكل/املا/
وهوكل/يزان/ستملائن/وسزوكلن/يعمهمو/ولخمرهمو/المقه/حضى/
ورضو/مراهمر/شمر/يهرعش/ملك/سبأ/وذريدن/بن/يسرم/يهنعم/ملك/
سبأ/وذريدن/بالمقه ثهون بعل اوم/.

وترجمته هي حسب اللغة اليوم:

شعب سبأ وكهلان تقربوا بتقديم تماثيلهم للإله الملقه بسبب انقطاع المطر عنهم في سنة من سنين تبع كرب وود ال بن حزفر فذهبوا إلى الملقه يدعونه عدة أيام ثم استجاب لهم وهطلت الأمطار (تعالى الله عما يشركون) وإن سبب استجابته لأنهم توكلوا عليه وربما إن المطر انقطع أكثر من سنة وليمنحهم الملقه الرضاء والقرب من سيدهم شمر يهرعش ملك سبأ وذي ريدان بن ياسر يهنعم ملك سبأ وذي ريدان بالتمته الثاوي صاحب أرام⁽¹⁾.

(1) مثنان، تاريخ حضارة اليمن القديم، ص 378

في النصوص المتأخرة دون ذكر أسماء الأصنام الأخرى مما يشير إلى حدوث هذا التطور في العقائد وإلى ظهور عقيدة التوحيد والإيمان بالاله السماء عند جماعة من العرب الجنوبيين⁽¹⁾.

بعد ذلك جاء ذكر اسم الرحمن وأضيف إليه صفة ترحم ولاسيما في مرحلة ظهور الديانتين اليهودية والمسيحية في اليمن القديم والتي بدأ كل منها يتخذ منحى خاصاً في الإشارة إلى عقيدته التوحيدية ولإضفاء المسحة الدينية على نقوشهم الكتابية اتخذ المسيحيون من عبادة الرحمن ومسيحه والروح القدس صيغة دينية تميز نقوشهم وتدل على ديانتهم المسيحية خلافاً لما كان لدى اليهود من صيغ دينية كعبارة الرحمن رب السماء والأرض⁽²⁾، وقد أشار بعض الباحثين إلى تاريخ اليهود في اليمن يبدأ في القرن الأول ق.م، في حين يتجه قسم آخر إلى أن اليهودية وجدت طريقها إلى بلاد العرب الجنوبية على اثر تدمير هيكل أورشليم عام 70م على يد الإمبراطور الروماني تيتوس⁽³⁾، "بعد رفع المسيح بأربعين سنة غزا طيطوس بيت المقدس وخربه وقتل اليهود وأسره ولم يبق لهم بعد ذلك دولة ولا ديانة"⁽⁴⁾ وقد استنبط من النص رقم (2) والمدون بتاريخ شهر ذى الحجة عام 493 حميري الموافق لعام 378م والذي يرجع تدوينه إلى عهد الملك الحميري ملككرب يهامن وابنيه ابكرب اسعد وذا امرأين، انه يتضمن لفظة التوحيد وهو ما يخالف عقيدة الوثنية في العربية الجنوبية ومن جملة ما جاء فيه (بمقام مرأمو مراسمين) وترجمته لمقام سيدهم سيد السماء⁽⁵⁾، أما النقوش التي عثر عليها في زمن الملك شرحبيل يعفر (451م) والتي تدونت بعد إن قام ببناء السد الذي تهدم بعد ترميمه بعام واحد فقد تضمنه عبارة (بنصر وردا الهن بعل سمين وأرخن) أي

(1) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج6، ص30.

(2) سهيل زكار، تاريخ الوطن العربي القديم، ص99.

(3) احمد فخري، دراسات في تاريخ الشرق القديم، ص143.

(4) ابن الضحنة، محب الدين أبي الوليد محمد، روض المناظر في علوم الأوائل والأواخر، تحقيق سيد محمد مهني،

دار الكتب العلمية (بيروت 1997)، ص36.

(5) عبد القادر بافقيه، تاريخ اليمن القديم، ص150.

بنصر ويعون الإله سيد السماء والأرض وهو تعبير لا يتفق مع الديانتين المسيحية واليهودية⁽¹⁾.

لنجد بعد ذلك النقوش تحدثنا عن انتشار الديانة المسيحية، وقد جاء اسم (شرحب ايل يكف) شرحبيل يكف في نقوش مؤرخه بسنة 575 من التقويم الحميري المقابلة لسنة 460 للميلاد وقد وردت في الكتابة جملة (رحمنن وينهو كرشتش غلبن) أي الرحمن وابنه المسيح الغالب، وقد ذكر بعد تلك الجملة اسم الملك ونعته الذي هو (ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت وإعرابها في النجد وفي التهام)⁽²⁾ أما تاريخ دخول النصرانية لبلاد اليمن فهي محط اختلاف الباحثين. يقول أحمد فخري⁽³⁾ إن معظم ما وردنا من أخبار عن بداية دخول النصرانية بلاد العرب الجنوبية يعود تقريباً إلى حوالي النصف الأول من القرن الرابع الميلادي وقد يقرن بين اعتراف دولة بيزنطة بالنصرانية كدين رسمي لها في عام 313م وبداية النصرانية في بلاد العرب الجنوبية، ولقد جاء ذكر النصرانية وكيفية وصولها إلى بلاد العرب الجنوبية في كتب الإخباريين المسلمين حيث ترجع تلك الروايات انتشارها إلى رجال من إتياع دين عيسى عليه السلام يدعى فيميون وقد كان رجلاً ورعاً زاهداً في الدنيا مجاب الدعوة وكان يطوف بالبلاد وكلما شاع سيطه في أرض رحل إلى غيرها وكان يعمل بيده ويأكل من كسبها وقد أثار ذلك رجلاً من أهل الشام اسمه صالح فتبعه دون أن يدرك ذلك فيميون وكان فيميون كلما نزل بقرية دعا للناس بالشفاء وكان صالح يسير خلفه دون أن يعلم ذلك فيميون حتى قادتهم الأقدار بأرض العرب فخطفهما بعض السيارة وباعوهم في نجران، وكان أهل نجران يعبدون نخلة طويلة بين أظهرهم ويقيمون لها عيداً في كل عام وإذا كان ذلك العيد علقوا عليها كل ثوب حسن وحلي النساء ثم خرجوا إليها فعضوا عليها يوماً، وكان السيد الذي اشترى فيميون رجلاً من أشرفهم وقد أسكنه في بيت

(1) ميد العزيز سالم، تاريخ العرب قبل الإسلام، ص 60.

(2) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج 2، ص 454.

(3) أحمد فخري، دراسات في تاريخ الشرق القديم، ص 144.

بقربه وكان إذا صلى (فيميون) استرج له البيت ثوراً حتى يصبح من غير مصباح فرأى ذلك سيده فأعجبه وقربه فسأله عن دينه فأخبره فقال فيميون لسيده بان تلك النخلة لا تضر ولا تنفع ولو دعوت عليها الذي اعبد لأهلكها وهو الله وحده لا شريك له.

فقال له سيده فافعل وانك إن فعلت دخلنا في دينك فقام فيميون فتطهر وصلى ركعتين ثم دعا الله عليها فأرسل ريحا فجعلتها من أصلها فألقتها فاتبعه عند ذلك أهل نجران⁽¹⁾.

فيما تعزو المصادر العربية انتشار اليهودية⁽²⁾ في اليمن إلى اسعد ابو كرب الذي قدم من المدينة ومعه حبران من أحبار اليهود من قريظة فما إن وطئ اليمن حالت حمير بينه وبينهما وقالوا له لا تدخلها علينا وقد فارقت ديننا قال انه خير من دينكم فقالوا له حاكمنا إلى النار قال نعم وكانت باليمن فيما يزعم أهل اليمن نار تحكم بينهم فيما يختلفون فيه تأكل الظالم ولا تضر المظلوم شيئاً فخرج قومهم بأوثانهم وما يتقربون به وخرج الحبران بمصاحفهما في أعناقهما متقلدين بها حتى قعدوا للنار عند مخرجها - فخرجت النار إليهم فلما أقبلت نحوهم حادوا عنها وهابوها، فأمرهم من حضر بالصبر وصبروا حتى غشتهم وأكلت الأوثان وما قربوا معها ومن حمل ذلك من رجال حمير، وخرج الحبران بمصاحفهما في أعناقهما تعرق جباههما ولم تضرهما، فاتفقت عند ذلك حمير على دينه فمن هناك كان أصل دين اليهود في اليمن⁽³⁾.

أما بالنسبة للروايات اليونانية فقد أشارت إلى أن الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الثاني أرسل في عام 354 للميلاد (ثيوفيلوس اندس) من جزيرة سيلان

(1) ابن هشام، سيرة ابن هشام، ج 1، ص 20

(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 1، ص 362

(3) وهب ابن منبه، التيجان، ص 37، فيما يورد الطبري أن اسم الحبرين هما كعب وأسد وكانا أعلم أهل زمانهما

وأن تبع امن بهما وكذلك امن برسول الله (ص) قبل أن يرى وقد قال شعرا فيه، ينظر ملحق رقم 1.

إلى العربية الجنوبية للتبشير بالنصرانية بين الناس وقد تمكن من إنشاء كنيسة عدن وأخرى في ظفار وثالثة في هرمز وعين للمتنصرين رئيساً ثم رحل⁽¹⁾.

وللبش قصص عن انتشار النصرانية في نجران خلاصتها إن قديساً اسمه (ازكير) Azkir أقام كنيسة ورفع الصليب وبشر بالنصرانية في نجران وذلك في أيام الملك (شرحبيل ينكف) ملك حمير فاستاء من ذلك (ذو ثعلبان) و(ذو قبضان) وأرسلوا رجالهما إلى المدينة لهدم الكنيسة وإنزال الصليب والقبض على القديس والقوا به في السجن وفي أثناء إقامته فيه هدى قوما من السجناء إلى النصرانية بفعل المعجزات التي قام بها فغضب الملك (شرحبيل) عليه وأرسل إلى القيلين الذين كانا في نجران أن يرسلوا إليه هذا الرجل الذي فتن الناس، فأرسل مخفوزاً إليه وفي أثناء اجتيازه الطريق إلى عاصمة الملك ظهرت منه معجزات خارقة أمن بها عدد ممن رافقوه أو وقفوا على أحواله وتعمدوا على يديه، فلما وصل إلى ظفار عاصمة شرحبيل انتهره الملك وحاجه في دينه وعرض عليه كتب (يهود) ثم أغراه بالذهب والمال دون جدوى، فأمر الملك عندئذ بإرساله إلى نجران لقتله فلما بلغ المدينة قتله اليهود⁽²⁾.

إن هذه الرواية تصف لنا بكل وضوح بداية الصراع الديني في اليمن حيث بلغ ذروته خلال القرن السادس الميلادي إذ أسفر إلى تقدم الأحباش نحو بلاد العرب الجنوبية واحتلالها احتلالاً مباشراً دام نصف قرن.

(1) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج6، ص478

(2) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج6، ص478

المبحث الثاني

الأوضاع السياسية في اليمن

فاورثه عمرو الندي ابن اذينة وخولان في إعلاء رفيع المجالس

من خلال قراءة النصوص الأثرية المكتشفة نستنتج إن اليمن لم تكن مستقرة سياسياً قبل الغزو الحبشي الثاني لها وتذكر روايات الإخباريين العرب أسماء تبابعة حكموا اليمن وخاضوا الكثير من الحروب والغزوات لكن الحديث عنهم اقرب إلى الخرافة وقد ذكروا انه في عهد شرحبيل يعضر تم ترميم سد مأرب الذي بناه من قبل ذمر علي وتر في إثناء حكم المملكة السبئية⁽¹⁾.

وكان قد تصدع إلا أن هذا العمل لم يجد نفعاً فقد تصدع السد ثانية بعد ترميمه بعام واحد مما تسبب بخسائر كبيرة وأدى ذلك إلى فرار جماعة كبيرة من سكان هذه المنطقة إلى الجبال فأعاد شرحبيل من جديد بناء السد وسجل هذه الأعمال في نقش طويل تضمن مراحل البناء ومقدار ما صرف عليه⁽²⁾.

وفي عام 564 من التاريخ الحميري حوالي 449م تعرض سد مأرب لتصدع وهو الثالث فيما ذكرت النقوش وأمر شرحبيل يعضر بإصلاحه ولكن لم يلبث أن تصدع مرة أخرى في العام التالي فخسر الملك عشرين ألف من رجال حمير وحضرموت للقيام بالترميمات المطلوبة وذكر النص كميات الطعام وأنواعه المختلفة التي استهلكها ذلك العدد الكبير من العمال المسخرين⁽³⁾، وأشير إلى السد في نقش يعود تاريخه إلى عام 572 من التاريخ الحميري حوالي 456م أي بعد سبعة أعوام من النقش السابق ويحتوي على وصف تفصيلي لعملية بناء قصر لذلك الملك ويبدو من خلال هذا النص إن جل إيرادات الدولة كانت تصرف لترميم السد

(1) نبيه عاقل، تاريخ العرب القديم، ص 87

(2) سهيل زكار، تاريخ الوطن العربي، ص 83.

(3) عبد القادر باقرية، تاريخ اليمن القديم، ص 152

وبناء القصر مما ترك أثراً كبيراً لدى الشعب وقد جاء في النص ما يأتي وحسب السطور:

1. شرحبيل يعفر ملك سبا وذو ريدان وحضر موت ويمنت وأعرابهم.
2. وتهامة بنو ابكرب اسعد ملك سبا وذو ريدان وحضر موت ويمنت وأعرابهم.
3. طودا وتهامة بنوا وأسسوا وجملوا (عذنين) بينهم (هرجم) {اسم القصر}.
4. وظلوا واجهته بالجير (وهجياً وتببتم جبر تقلد هو اقدمن) واقاموا لحمايته متفقاً.
5. وحجارة مربعة (ربعتم) ونوافذ تفتح (والهجم مودلم) واحاطوه تماثيل ثيران نحوته (اثورم عصبيم) وظباء واسود (نعيهو شرعتم).
6. واجراس (ومصهرتم) من الذهب/النحاس (ذذهبيم) بين تماثيل الثيران.
7. المنحوتة (ذعصبين) وكان (...ون) حسنا هو تجميل المسود (عسم هو موسم مسودن).
8. وتصبوا (ووتنو) به أعمدة.
9. من الحجارة المنحوتة (اعصبيم) بوسط الجزء المسقوف (بوسط مظللن) ومن الخارج.
10. فاحاطوه (وشرعوه) تماثيل إ بشرية (احلمن) واوعال واسود وانمر من الذهب.
11. رمموا (وعذبو) العرم (اي السد) الذي بماب تنظيفاً وتجصيصاً (مسرم وشصخم) وينورجم كل جدرانه (عوذهو) وجددوا رقوم (موضع بالسد).
12. بسهقل، السد بالجدار (بعودن) في عام واحد بنصر وعون وسقام سيدهم الرحمن بعل.
13. السماء والأرض، ويقوه وعون قبائلهم وجيوشهم (اخمسهمو) سبا وحمير وحضر موت.

14. ويمنت، وكان هذا الانجاز (مقحن) بالشهري الن في العام الثاني والبصين وخمسائة⁽¹⁾.

وأمام هذه الكوارث التي سببها انهيار السد والعمل المضني في إعادة أعمارته فقد اضطر الناس إلى الرحيل من مأرب إلى مواضع أخرى⁽²⁾، أما في روايات الإخباريين فلم تذكر بشيء عن انهيار السد المتكرر أو عن الترميمات التي أجريت عليه واكتفت بذكر الملوك الذي تعاقبوا على عرش اليمن وعلى النحو التالي بعد تبع بن حسان الذين أسهبوا في غزواته جاء مرشد بن عبد كلال وابنه تهيعه وابرهة بن الصباح وكان من أحكم ملوك اليمن وأغلظهم وكان ملكه ثلاث وتسعين سنة ثم عمرو بن ذي فيفان ثم ملك ذو الكلاع ثم ملك لخبيعة ذوشناتر⁽³⁾.

وهو آخر الملوك الذين حكموا اليمن قبل مجيء ذو نواس، أما التنقيبات الأثرية التي أشار إليه (جامة) فقد وضعت اسم (عبد كللم) (عبد كلال) بعد اسم (معبد يكرب ينعم) وقد جعل حكم (معبد يكرب) فيما بين السنة (595) والسنة (600) من التقويم الحميري أي بين سنة (480) أو (486) للميلاد وجعل حكم (عبد كلال) فيما بين السنة (600) والسنة (602) من التقويم الحميري أي السنة (602) حتى السنة (601) من التقويم الحميري أي ثمان سنين ثم ذكر بعده اسم الملك (مرشد الن نيف) (مرشد علن) وجعل حكمه من سنة (610) حتى السنة (620) من التقويم الحميري أي من سنة (495) أو (501) حتى السنة (505) أو (511) للميلاد⁽⁴⁾.

(1) عبد القادر بافقيه، تاريخ اليمن القديم، ص 153-154

(2) سعد زغلول، في تاريخ العرب قبل الإسلام وص 197.

(3) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي ج 1، ص 170

(4) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب ج 2، ص 457.

إذن فهناك بون شاسع بين الروايات التاريخية فيما يخص أسماء الملوك والتابعة وبين الآثار والتنقيبات المكتشفة، ويمكن أن نجمل أسباب ذلك الاختلاف بما يأتي:

1. لعدم وجود كيان قوي مستقل يضم كل أجزاء اليمن في ذلك الوقت.
2. لقد لعبت المصالح الشخصية والتأثيرات الحبشية (بفعل الدين) دوراً كبيراً في ظهور أسماء وشخصيات تدعي أحقيتها بالحكم، يقول ابن الأثير "وكان ملك حمير قد اختل قبل ذي نواس وانقطع نظامه حتى طمعت الحبشة فيه وملكته⁽¹⁾".

وبالعودة إلى المصادر التاريخية نجدها تعد الملك لخيعة ذو شناتر رجلاً مغتصباً للعرش الحميري لأنه لا يمت بصلة القرية والنسب للأسرة الحاكمة، أما كيفية وصوله إلى كرسي الحكم فلم تفصح لنا المصادر التاريخية عنها شيء واكتفت بوصفه.

"فوثب عليهم رجل من حمير لم يكن من بيوت المملكة، يقال له لخنيسة ينوف ذو شناتر فقتل خيارهم وعبث ببيوت أهل المملكة منهم فقال قائل من حمير للخنيسة:

تقتل ابنها وتنفي سراتها

وتبني بأيديها لها الدل حمير

تدمر دنياها بطيش حلومها

وما ضيعت من دينها فهو اكبر

كذلك القرون قبل ذاك بظلمها

واسرافها تأتي الشرور فتخسر⁽²⁾

(1) الكامل في التاريخ، ج1، ص356.

(2) ابن هشام، سيرة ابن هشام، ج1، ص18.

ومن المستغرب أن نجد إن كل المصادر التاريخية تجمع على ذم هذا الملك وتصفه ((ثم يكن من أهل بيت الملك فغزى بالأحدث من أبناء الملوك وطالبهم بما تطالب به النسوان وأظهر الفسق باليمن والمواط))⁽¹⁾ أما قصه وصول ذي نواس إلى الحكم وزوال ملك ذو شناتر فترد عند الاخباريين على النحو التالي: ((وكان ذو شناتر امرأ فاسق يعمل عمل قوم لوط - إذا سمع بالغلام من أبناء الملوك قد بلغ أرسل إليه فوقع عليه في مشربه له قد صنعها لذلك، ثلثا يملك بعد ذلك أبدا ثم يطلع من مشربته تلك إلى حرسه ومن حضر من جنده وهم أسفل منه قد أخذ سواكاً فجعله في فيه - أي يصلمهم أنه قد فرغ منه ثم يخلي سبيله فيخرج على حرسه وعلى الناس وقد فضحه حتى إذا كان آخر أبناء تلك الملوك زرعه ذو نواس من تبنان اسعد أبي كرب بن ملكي كرب بن زيد بن عمرو ذي الازعر أخو حسان - وزرعه كان صبياً صغيراً حين أصيب أخوه فشب غلاماً جميلاً وسيماً ذا هيئة وعامل فبعث إليه لخنيعه ينوف ذو شناتر ليفعل به كما كان يفعل بأبناء الملوك قبله فلما أتاه رسوله عرف الذي يريد به فأخذ سكيناً حديداً لطيقاً فجعله بين نعله وقدمه ثم انطلق إليه مع رسوله: فلما خلا به في مشربته تلك أغلقها عليه وعليه ثم وثب عليه ووثابه ذو نواس بالسكين قطعنه به حتى قتله ثم احتز رأسه فجعله في كوه مشربته تلك التي يطلع منها إلى حرسه وجنده))⁽²⁾ بعد إن أتم قتله يورد الإخباريون إن أهل اليمن خرجوا بأثره ((فقالوا له ما ينبغي أن يملكنا غيرك إذ أرحتنا من هذا الخبيث))⁽³⁾ وهكذا تولى ذو نواس مقاليد الحكم في اليمن.

فيما تشير الآثار المكتشفة إن آخر الملوك الذين حكموا حمير قبل ذو نواس هو الملك (معد يكر ب يعضر) وأضيف مع اسمه لقب (ملك سبا وذي ريدان وحضرموت ويعنت وأعرابها في الجبال وفي تهامة) وأرخت هذه الكتابة بشهر

(1) المسعودي، مروج الذهب، ج2، ص77

(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج2، ص118.

(3) ابن هشام، سيرة ابن هشام، ج1، ص18

(ذقيضم) من سنة 631 من التاريخ الحميري الموافق لسنة (516) للميلاد ومعنى هذا إن هذا الملك قد حكم قبل حكم ذي نواس بمدة قليلة⁽¹⁾.

ومهما تكن التسميات فقد آل الحكم في اليمن إلى الملك ذو نواس الذي عرف بأنه صاحب الأخدود الذي ذكر في القرآن الكريم بعد أن أحرق بالنار أهل مدينة نجران الذين أبو أن يغيروا دينهم ويتبعوا دين ملكهم.

ونجران من مخاليف اليمن قالوا، سمي بنجران من زيدان بن سباء بن يشجب بن يعرب بن قحطان لأنه كان أول من عمرها ونزلها وفيها بناء يعرف بـ (كعبة نجران) ويقال بيعه بناها بنوعيد المدان بن الديان الحارثي على بناء الكعبة وعظموها مضاهاة للكعبة وسموها كعبة نجران وكان فيها قبة من آدم من ثلاثمائة جلد، كان إذا جاءها الخائف أمن أو طلب حاجة قضيت⁽²⁾، كما يزعمون أما عن دخول النصرانية فيها بحسب الروايات العربية أنه كان بنجران ملك من ملوك حمير يقال له ذو نواس واسمه يوسف بن شرحبيل وكان قبل مولد النبي (ص) بسبعين سنة وكان له ساحر حاذق فلما كبر قال للملك إني كبرت فأبعث إلي غلاماً أعلمه السحر فبعث إليه غلاماً اسمه عبد الله ابن الثامر ليعلمه، وهكذا تستمر الرواية فتصور لنا هذا الغلام وهو يتعلم السحر فيتعرف على راهب ويتلمذ على يده فيترك السحر ثم يصبح له شأن كبير وصار الغلام يبرئ الأكفم والأبرص ويشفي الناس بإذن الله فتبعه خلق كبير من أهل نجران فأرسل إليه الملك وأراد أن يقتله فلم يقدر فقال الغلام للملك انك لن تقدر على قتلي إلا أن تجمع أهل مملكتك وترمني بسهم وتقول بسم الله رب الغلام ففعل ذلك فقتله فقال الناس أمنا برب الغلام فقيل للملك قد نزل بك ما تحذر فأغلق أبواب المدينة وخد إخدوداً وملاء ناراً وعرض الناس فمن رجع من دينه تركه⁽³⁾، وهكذا تصور الرواية بأنه بمقتله تم انتشار الديانة المسيحية.

(1) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج2، ص457

(2) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص268

(3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج1، ص362

ومن المفيد أن نذكر إن الإخباريين العرب قد جعلوا من استيلاء الأحباش على اليمن كأنه قدر لا مفر منه وتأنبوا به قبل وقوعه بنصف قرن حيث يذكر هؤلاء الإخباريون أن أحد التابعة وهو ربيعة بن نصر بن مالك رأى رؤيا هائلة فجمع كل من كان في اليمن من منجم وكاهن وساحر فقال لهم قد رأيت رؤيا هالتي وفزعتم منها فأخبروني بها ويتأويلها فقالوا له أيها الملك اقصصها علينا نخبرك بتأويلها فقال لهم إن أنا أخبرتكم بها لا أحدقكم في تأويلها وإن أنتم أخبرتموني بها صدقتكم فقال له رجل أنك كنت تريد هذا فأبعث إلى سطيح وشعب فانه ليس أحد اعلم منهما فبعث إليهما فأقبل إليه سطيح قبل شق^٥ فقال له إني رأيت رؤيا هالتي وفزعتم منها فأخبرني بها ويتأويلها وإن أنت أصبتها أصبت تأويلها فقال له، أفعل أيها الملك، رأيت أيها الملك حممة خرجت من ظلمه فوقعت بأرض تهمه فأكلت منها كل جمجمة، فقال الملك ما أخطأت منها شيء يا سطيح فما عندك في تأويلها، فقال: احلف بما بين الحرتين من حنش ليملكن أرضكم الحبش وليملكن ما بين أبين إلى جرش، فقال له الملك وأبيحك يا سطيح إن هذا لغايط لنا موجه، فمتى هو كائن أي زماننا هذا أم بعده؟ فقال: بعده بحين أكثر من ستين إلى سبعين قال: فيدوم ذلك من ملكهم أو ينقطع وقال: بل ينقطع لبضع وسبعين من السنين ويخرجون منها هارين، فقال ومن يلي ذلك من إخراجهم قال: يليه أرم ذو يزن يخرج عليهم من عدن فلا يترك أحدا منهم باليمن قال فيدوم ذلك من ملكه أو ينقطع، قال: بل ينقطع قال: ومن يقطعه قال نبي زكي يأتيه الوحي من قبل العلي، قال: ومن هو هذا النبي، قال هو من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر يكون ملكه إلى آخر الدهر، قال وهل للدهر من آخر قال نعم يوم يجمع الله فيه الأولين والآخرين ويسعد فيه المحسنون ويشقى فيه الميشون، قال: أحق ما تخبرني، قال: أي والشغف والغسق والغلق إذا انسق إن ما أنبأتك به لحق قال، ثم قدم شق قال له مثل قوله لسطيح وكتمه ما قال سطيح لينظر هل يتفقان أم يختلفان فقال له شق: رأيت في منامك أيها الملك حممة وخرجت من ظلمة فوقعت بين روضة واحكمه فأكلت منها كل ذات نسمة فقال له الملك: ما أخطأت منها شيئا فما عندك في تأويلها قال احلف بما بين الحرتين من إنسان لينزلن أرضكم السودان وليملكن كل

طفلة البنان وليغلبن على ما بين أبيين إلى نجران قال له: يا شق إن هذا لخائظ لنا
 موجع فمتى يكون في زماننا هذا أم بعده، قال: لا بل بعده بزمان، ثم يستقرهم ملك
 عظيم الشأن ويدفعهم بأشد الهوان، قال ومن هو العظيم الشأن؟ قال غلام؛ ليس
 بذني ولا مزن يخرج من بين ذي وزن، قال: أفيدوم سلطانه أم يتقطع، قال بل يقطع
 برسول مرسل يأمر بالحق والعدل بين أهل الدين والفضل يكون الملك في قومه إلى
 يوم الفصل⁽¹⁾.

(1) خلال هذه الرواية يبدو أنهما من الكهان في بلاد اليمن.

وهب بن منبه، التيجان، ص 303-304.

المبحث الثالث

حملة الأحباش الثانية على اليمن

فهد على صرواح نعمى مهابه فأورثها سعد زمام النوارس

احتل الأحباش اليمن على اصح الروايات في عام 525م في عهد الملك ذي نواس وكما تسميه المصادر الإسلامية يوسف ذي نواس فيما تشير الآثار والنقوش التي ضربت في تلك المرحلة إن اسمه (يسف اسار)⁽¹⁾ ويبدو إن اسم يوسف اضيف إليه بعد أن اعتنق الديانة اليهودية واخلص لها وحين أدرك إن المسيحيين العرب من رعاياه كانوا سببا وراء زيادة تسلط النفوذ الحبشي إلى بلاده، وإن مدينة نجران هي الحاضنة لهذا التسلسل الرامي إلى نشر هذه الديانة الجديدة ومن ثم السيطرة على مقاليد الحكم في البلاد، اعتبر ذو نواس إن قاطني هذه المنطقة من المسيحيين خونة فسار إليهم بجيش كبير ودخلها عليهم وخبرهم بين ترك ديانتهم أو القتل ولما أبوا إلا البقاء على دينهم أقام لهم مذبحا واحرق عدد كبير منهم ودفنهم في أخدود وقد جاء ذكر ذلك في القرآن الكريم (قَتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ الَّذِينَ كَانُوا يَلْقَوْنَ الزَّكَاةَ لَوْ قُودُوا)⁽²⁾، ولعل ذو نواس فعل ذلك لا بسبب المتعصب الديني هذا من جانب ومن جانب آخر لوقوف أطماع الأحباش الذي كانوا يحاولون الاستيلاء على اليمن بشتى السبل لاسيما إذ علمنا انه سبق لهم أكثر من محاولة للاستيلاء عليها لكنها فشلت ثم لا يخفى إن عداوة الحبش للعرب قديمة العهد نشأت من وقت أن كان عرب اليمن يخطفون الأحباش من سواحل الحبشة ويبيعونهم أرقاء في جزيرة العرب⁽³⁾.

(1) جواد علي، الفصل، ج2، ص462.

(2) القرآن الكريم، سورة البروج آية 4 - 5.

(3) عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسي، ج1، مل2 (مصر 1960)، ص73.

فيما يعمل فيليب حتي⁽¹⁾ على ذلك بقوله "والذي يلوح لنا إن ذا نواس كان يمثل الروح القومية في البلاد قرأى في النصاري من مواطنيه ما يذكره بحكم الأحباش المسيحي البيغض فخذ لهم أخدوداً وصنف لهم القتل فمنهم من قتل صبراً ومنهم من أوقد له النار في الأخدود فألقاه في النار" إلا رجالاً من سبا يقال له دوس ذو ثعلبان فذهب على فرس له يركض حتى أعجزهم في الرمال⁽²⁾.

لم تمض حادثة الأخدود بسلام، فما أن أبلغ بها الإمبراطور جوستيان⁽³⁾، حتى اغتنم الفرصة لتحقيق مأربه باعتبار روما حامية للمسيحية في ذلك الوقت فضلاً عن سعيه إلى ضم اليمن إليه وإضافة مراكزها التجارية البرية والبحرية إلى ما استولى عليه من مناطق كالبتراء وتدمر ومعان التي أصبحت في ذلك الوقت تحت سيطرة الروم فكتب إلى نجاشي الحبشة، وكان الأحباش أقرب إلى الإتياع منهم كونهم حلفاء أو أصدقاء للروم، لغرض تأديب ملك اليمن ذو نواس الذي اضطهد المسيحيين في نجران "فبعث معه سبعين ألفاً من الحبشة وأمر عليهم رجالاً منهم يقال له أرياط ومعه في جنده أبرهة"⁽⁴⁾ انطلقت هذه الحملة وسلكت الطريق البحري من "بلاد ناصح والزيلم وهو ساحل الحبشة"⁽⁵⁾، وحطوا في أرض اليمن في ساحل زبيد وكان الأمر الذي يحمله قائد الحملة أرياط فيه قسوة متناهية في كيفية التعامل مع أهل اليمن، "إن أنت ظهرت عليهم فأقتل ثلث رجالهم وخرب ثلث بلادهم واسب ثلث نساءهم وأبنائهم"⁽⁶⁾.

(1) فيليب حتي، تاريخ العرب، ص 97

(2) الأزرق، محمد بن عبد الله بن أحمد، أخبار مكة، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة 2004)، ج 1، ص 103

(3) ول ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، ج 2، 4، (مصر 1964) مطبعة لجنة التأليف والترجمة، ص 10

(4) ابن هشام، السيرة النبوية، ج 1، ص 24

(5) المسعودي، مروج الذهب، ج 2، ص 77

(6) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج 2، ص 125 و

وما إن تناهت أخبار هذه الحملة إلى مسامع الملك ذو نواس حتى حشد قواته وسار إليهم ومعه "من أطاعه من قبائل اليمن"⁽¹⁾، إلى أن هذه المعركة سرعان ما حسمت لصالح الأحباش إذ تمكنوا من إنزال هزيمة نكراء بالذين تصدوا لهم بعد مناوشات لم تدم طويلاً تلاشى على إثرها جيش حمير "فلما رأى ذو نواس ما نزل به ويقوته وجه فرسه في البحر ثم ضربه فدخل به فخاض به ضحوضاح البحر حتى أفضى به إلى غره فادخله فيه وكان آخر العهد ودخل أرباط اليمن فملكها"⁽²⁾، وأذل أهلها فقتل ثلث رجا لهم وبعث إلى النجاشي بثلاث نسائهم سبايا وهدم القلاع والحصون والقصور، وإن الحبشة هدمت سلحين وبيئون وكان الذي هدمها أرباط ولم يكن يوجد مثلهما في الدنيا فقال في ذلك شاعر من حمير:

أوما رأيت وكل شيء هالك بينون خاوية كان لم تعمس
أوما رأيت وكل شيء هالك سلحين خاوية كظهر الأدبر
أوما رأيت بني عطاة ناهياً قد أصبحت تسفا عليهم صرصر
أوما سمعت يحمير وقصورها أمست معطلة مساكن حمير
فأبكيهم أما بكيث لمعشر لله درك حمير من معشر⁽³⁾

وبهذه الروايات التاريخية بما تحمله من سرد قصصي انطوت صحيفة دولة حمير التي تشير التنقيبات الأثرية إلى وجودها منذ 115 ق.م بحملة عسكرية لا تتناسب حجماً ونوعاً أمام العطاء اثر لهذه الدولة العظيمة.

كان الكثير من المؤرخين حتى فترة قريبة يرون إن سبب اضطهاد ذو نواس هو تعصبه الديني إذ أنه كان يدين باليهودية وهو متعصب لها وقد يكون هذا التعصب أحد الأسباب التي دعت ذو نواس لفعل ما فعل ولكن هناك سبباً آخر لاضطهاد النصراني منها إن المسيحية في الشرق كانت تحت حماية بيزنطة والحبشة

(1) ابن كثير، البداية والنهاية، ج 2، ص 144

(2) ابن هشام، السيرة النبوية، ج 1، ص 18

(3) وهب بن متبه، التيجان، ص 313

وانتشارها يعني ازدياد نفوذ هاتين الدولتين في اليمن مما لا يرضي اليمنيين⁽¹⁾، بينما لم يكن يرافق انتشار الديانة اليهودية أي خطر سياسي لأنه لم يكن هناك دولة تحمي اليهود بل يقال إن اليهود هم الذين حثوا ذو نواس على اضطهاد النصارى لأن أبناء دينهم في بيزنطة كانوا يعاملونهم معاملة سيئة إلى أبعد الحدود ورغم قسوة ذي نواس اليهودي على النصارى فلا يعرف عنه أنه قسى على الوثنيين اليمنيين بل ظلت الوثنية قائمة في اليمن حتى ظهور الإسلام.⁽²⁾

ولرئنا سائل يسأل عن سبب هذا الانهيار السريع الذي أصاب المملكة الحميرية وعدم قدرة القبائل العربية على الصمود والمقاومة أمام هذه الهجمة البحرية الحبشية التي استهدفت اليمن وأدت إلى زوال هذه الدولة بما تحمله من عمق حضاري ضارب في أعماق التاريخ.

وقد بددت الاستكشافات الحديثة هذه التساؤلات إذا ما ربطناها بروايات التاريخية التي تذكرها أمهات المصادر العربية التي تتحدث عن تلك الحقبة التاريخية المهمة في تاريخ العرب قبل الإسلام، على الرغم من ندرتها وقلتها.

إذ يذكر الدكتور جواد علي في ترجمته لنصين عشر عليهما وهما في غاية الأهمية ويؤرخان لفترة سبقت حملة أرياط وأبرهة بسبع سنوات وقد أشير فيهما إلى حروب وقعت بين الأحباش وبين ذو نواس وقد كتب النصفان في سنة واحدة هي سنة (633) من التقويم الحميري الموافقة لسنة 518 للميلاد إلا أنهما كتبا في شهرين مختلفين فكتب أحدهما في شهر {ذمذرن} والآخر في شهر {ذقيضن}⁽³⁾ وخلاصة النص الأول إن ملك ذو نواس لم يكن متسعا وإن سلطانه لم يكن عاماً شاملاً كل اليمن بل كان قاصراً على مواضع منها فقد كان الأحباش يحتلون جزءاً منها وكان الأقبال.

(1) صالح أحمد العلي، محاضرات في تاريخ العرب، ص 29

(2) نبيه عاقل، تاريخ العرب القديم، ص 96

(3) جواد علي، الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج 2، ص 462

ينازعونه السلطة وقد كانوا لهم أقطاعات مستقلة نازعت الملك على الحكم والسلطان وكانت الفتن مستعرة⁽¹⁾، من خلال هذا النص نستطيع بكل يسر وسهولة أن نرسم الخارطة السياسية لدولة حمير ونستنتج ما يأتي:

1. إن الصراع السياسي على الزعامة بلغ ذروته إذ لم تعد هناك مركزية في الحكم وإنما هناك شبه كوفتنتات حاكمة تديرها الاقليات.
2. إن الأحباش كان لهم موطن قدم وحاميات عسكرية خاصة اسماً لبعض الزعامات العربية المعارضة.

وعلى الأرجح إن العامل الديني كان السبب وإن الأحباش أخذوا على عاتقهم نشر المسيحية في هذه الأرض بتحريض من الرومان بسبب قريهم الجفرا في حيث، "أخذت تتسرب إلى جزيرة العرب وخصوصاً تجران وعدن وأرسلوا إليهما الكهنة والرهبان وبنوا في نجران مزاراً أوحجاً عرف بكعبة تجران"⁽²⁾، وربما ساعد على نشر المسيحية أيضاً الإرساليات النسطورية من الحيرة وإرساليات من سوريا⁽³⁾، إذ كانت تفسد إلى اليمن بعد إن وجدت الأرض الخصبة لنشر أفكارها وتعاليمها وكانت هذه التدخلات الفكرية السبب في شق عصا الطاعة على الملك الذي يدين بديانة تختلف عما يدين به بعض أبناء مملكته الذين أصبحوا يمتلكون من القوة والمنعة الشيء الكثير بفضل المد والدعم الحبشي المتواصل إليهم، ومن المفيد إن تذكر رواية تصف حال ذو نواس وما كان يعانيه من متاعب وخروج الناس عن طاعته منذ إن آل إليه الحكم.

(إن يوسف ذا نواس لما انتقل الملك إليه ظهر له الحدس من بعض قومه وبلغه عنهم قوارص مما يلفظون فيه ويخوضون فيه من مذم أمره فأقبل عليهم وقال يا أيها الناس ما من رئيس حسد فأفلق ولأمن رائم أمر يستعجل فيه فأنجح إلا

(1) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج2، ص462

(2) جرجي زيدان، العرب قبل الإسلام، ص132

(3) صالح أحمد العلي، محاضرات في تاريخ العرب، ص29

مكاني بمن يقول إن يوسف ذا نواس ملك هذا الأمر وليس من ورثته ولأمن أبناء من حازه من قبله وكلا ليس الأمر كما زعم الزاعم ولكن للملك أساس من حازه حاز الملك⁽¹⁾ ونحن هنا لسنا بصدد التبرير لذي نوس أسباب هزيمته أمام الأحباش ولكن لدراسة الظروف السياسية والاجتماعية التي أسهمت في زوال ملكه وما تضافرت عليه من عوامل دينية جعلت من أرض اليمن تستمر بالصراعات الدينية والاثنية والعرقية، وأمام هذه التحديات نجد إن ذو نواس لم يقف مكتوف اليدين وهو يرى التنضي الذي أصاب مملكته بل عد العدة واستنصر كل إمكانياته وجمع من حوله أبناء القبائل وزعماء الاقوال الذين يدينون له وسار بهم على من خرج على طاعته، هذا ما أخبرنا بين النص الثاني المذكور في كتاب المفصل والذي دونه الثقيل (شرح ايل يقبل بن شرح ايل يكمل) من بني (يزان) (يزن) ويتبين من هذا النص إن الملك (يوسف اسار)⁽²⁾ هاجم (ظفر) (ظفار) مقر الأحباش واستولى على (قلسن)⁽³⁾ كنيسة ثم سار بعد ذلك على (اشعرن) اي (الأشعر) قبيلة من قبائل اليمن ثم سار الجيش إلى (مخون) (مخا) وحارب وقاتل فقتل كل سكانها (حورهو) واستولى على كنيستها وحارب كل مصانع اي معازل (شمر) ودكها دكا وحارب سهول (شمر) كذلك ثم هاجم الملك هجوفاً ماحقاً قبيلة (وشعر) (اشعرن) ثم اصحى عدد من قتل في هذا الهجوم وعدد ما وقع في أيدي جيشه من غنائم فكان عدد من قتل ثلاثة عشر ألف قتيل وعدد من أخذ أسيراً تسعة آلاف وخمسمائة أسير واستولى على (280) ألف رأس من الإبل والبقر والماعز (عنزم) واتجه الملك مع جيوشه بعد ذلك إلى (نجرن) (نجران) وفي صعيد هذه المدينة كان قد تجمع (اقرام) (بني ازان) وقبائل همدان وأهل مدنهم وإعرايهم وإعراب (كدت) (كدتة) و(مردم) (مراد) و(مذحج) فأنزلت جيوش الملك خسائر بالأحباش الذين كانوا قد

(1) الخزاعي، دهيل بن علي، وصايا الملوك وأبناء الملوك من ولد قحطان بن همدان، 246، تحقيق د. نزار أباطة دار

صادر، (بيروت 1997)، ص 1، ص 57

(2) يوسف اسار، يقصد به الملك ذي يزن وتسمى يوسف بعد إن دان باليهودية (صالح احمد العلي) محاضرات في

تاريخ العرب قبل الإسلام، ص 29

(3) قلسن، أو القليس وهي كلمة محرفة من كلمة ايكليزيا اليونانية بمعنى كنيسة (توفيق برو، تاريخ العرب

القديم، ص 85

تمحضوا بالمصانع والحصون وبمن ساعدتهم من القبائل وكان مع الملك وفي جيشه (اقولن) الاقيال (لحييت يرخم) و(سميفع اشوع) و(شرح بال اسعد)⁽¹⁾.

وقد أورد بإفقيه في كتابه نص بين فيه الحالة السياسية التي كانت عليها اليمن وقد افتتح النص بالدعاء التالي ليبارك الله الذي له السماء والأرض الملك يوسف أسار يتأثر ملك كل الشعوب وليبارك الاقيال لحييت يرخم وسميفع اشوع وشرحبييل اشوع وشرحبييل اسعد بني شرحبييل يكمل سارة يزان وجدن الذين ساندو (خصرو) سيدهم الملك يوسف اسار يثار عندما دمر حرقاً (دهر) الكنيسة أو القليس (قلسن) وقتل الاحباش بظفار والذين ساندوه على محاربة الاشاعر والركب وفرسان والمخا (مخون) وعندما ظفر وغنم الملك بهذه الغزوة 512 الف قتيل و11 الف سبي و290 الف من الإبل والبقر والضأن⁽²⁾.

ولا نعرف على وجه اليقين هل إن هذه الحملات التي قام بها الملك ذو نواس للقضاء على معارضيه هي نفسها التي اقام بها الأخاديد لحرق النصرانة في مدينة نجران والتي جاء ذكرها في القرآن الكريم أم قام فيما بعد بحملات أخرى ضدهم وإن النقوش المكتشفة لم تشر لحد الآن إلى ذلك على خلاف روايات الإخباريين التي أسهبت في سرد أحداث الأخدود فتحملت من المبالغة الشيء الكثير نظراً لبعد الحدث عن مرحلة التدوين إذ تزيد عن السبع قرون فزاد الإخباريون وأضافوا فتشتت الروايات بين الأسباب التي أدت إلى الفعل ثم القفز مباشرة للحصول على النتيجة دون معرفة باقي التفاصيل المهمة كالتواريخ من حيث الاستحضارات والمسير ليكتمل عندنا الحدث التاريخي الذي يقود إلى النتيجة الصحيحة وأنا في تقدير المتواضع أميل إلى إن هذه الحملة هي التي حدثت بها المحرقة وإن استيلاء الأحباش على اليمن لم يكن وليد معركة واحدة إنما سبقتها على أقل تقدير حملة عسكرية أحجم جل المؤرخون عن ذكرها واستند بذلك إلى ما يأتي:

(1) جواد ملي، المفصل، ج2، ص463

(2) عبد القادر بإفقيه، تاريخ اليمن القديم، ص154

1. تجمع المصادر التاريخية إن الذي اُفلت من المحرقة دوس ذو ثعلبان، ذهب إلى قيصر ملك الروم يستنصره على ذي نواس فقال له الملك "بعت بلادكم منا ولكنني سأكتب لك إلى ملك الحبشة فانه على هذا الدين وهو اقرب إلى بلادك"⁽¹⁾.
2. إن الهجوم الذي شنّه الأحباش على اليمن كان "على مائتين سبعة وستون منها سفن تجارية اعيرت للملك الحبشي من قبل البيزنطيين"⁽²⁾.
3. إن كل المصادر التاريخية لم تشر إلى مصير دوس ذو ثعلبان وما صنع بعد ذلك أو ما حل به بعد أن قام بهذه المهمة منذ هروبه من المحرقة وذهابه إلى الملك البيزنطي ثم إلى الحبشة لغرض الإعداد لحملة عسكرية وانتظار وصول السفن وتعبئة الجيش بها والإبحار إلى اليمن حيث تفض بنا تلك الروايات عند ساحة المعركة ووصول الجيش "ومعه دوس"⁽³⁾ ثم تتلاشه أخباره فكل هذا الجهد وما استغرقه من وقت لم يجني منه شيء رغم الانتصار الحاسم والسريع للأحباش في هذه المعركة.
4. بحسب النقوش الحميرية إن ذي نواس كان في أوج عظمته وإن معنويات جنوده في القمة جراء الانتصارات التي حققها على الخارجيين على سلطته⁽⁴⁾ فهل يعاقل أن يتقهقر بهذا الشكل المهين وهو في عقر داره.
5. إن التقنيات الأثرية تشير إلى إن العمليات العسكرية التي قام بها ذو نواس وبضمتها حملت نجران حدثت قبل سبع سنوات من حملة إرباط على اليمن فكما اشرنا فهل يعاقل أن يستغرق دوس ذو ثعلبان كل هذه المدة الطويلة في تحشيد هذه الحملة كما لا يعاقل أن تتلاشى أخباره بهذه السرعة.

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، ج1، ص24/ الطبري، ج2، ص123/ ابن كثير، ج2، ص144/ ابن الأثير، ج1، ص362.

(2) خالد العملي، دراسات في تاريخ العرب، ص33

(3) ابن كثير، البداية والنهاية، ج2، ص144

(4) جواد علي، الفصل في تاريخ العرب، ج2، ص463

إذن هنالك حلقة مفقودة بين تاريخ معارك ذو نواس مع معارضيه وبين تاريخ احتلال اليمن قبل القائد ارياط الحبشي والذي اعتقده هو وجود حملة عسكرية جرى الإعداد لها من قبل دوس ذو ثعلبان بالتنسيق مع الروم والأحباش إلى إنها منيت بالفشل ولم تحقق النتائج المرجوة لها وإن إحصاء المصادر التاريخية عن ذكرها إنما يعود إلى طبيعة المؤرخين الميالة إلى الدين وضرورة إنزال القصص الإلهي بحق الملك ذو نواس الذي انتهك حرمت المؤمنين المسيحيين وقام بحضر أخاديد من نار والقاهم بها للارتداد عن دينهم (قَتِيلَ أَصْحَبُ الْأَخْدُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ) إِذْ هُمَ عَلَيْهَا قُعُودٌ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ⁽¹⁾، لذا نرى إن واضعي الأخبار قاموا بإلحام النصوص والروايات التاريخية بشكل متداخل مختزلين عدد من السنوات لفرض الوصول إلى القصص من الملك صاحب المحرقة⁽²⁾، فما أن منيت الحملة الأولى بالفشل التي وضع إستراتيجيتها دوس ذو ثعلبان حيث لم يذكر لنا المؤرخون منه سوى أنه أصبح مثلاً عند أهل اليمن "لاكدوس ولا كاعلاف رحله"⁽³⁾، كدليل على خسارته وخروجه خالي اليدين ولم نجد أي رواية أخرى بحقه فلو كان حقاً مع ارياط لجير النصر له لأنه هو الذي جيش الجيوش وقادة الحملة أو على أقل تقدير فإنه لا يسلم من السنة الطريف المناوئة له وعده من الخونة الذين استعانوا بالأجنبي على بني صموته ويذكر بسوء، ولكن إحصاء المؤرخين على عدم ذكر اسمه دليل على أنه لم يشترك بالحملة أساساً وأنه اشترك في حملة سابقة وقد منيت بالفشل ولربما قتل فيها وقد قلنا إن أي ذكر لانتصار ذو نواس يعني لهؤلاء الإخباريين خط أحمر من الناحية الدينية لذلك نرى اسمه قد ألقمه في الحملة الثانية لفرض الربط فاخذ الرواة السبب المحرقة والمحرك للحدث دوس ذو ثعلبان والوسيلة الروم والأحباش والغاية إنزال العقاب والعبرة الاتعاظ بعدم انتهاك حرمت الله وبذلك يكون الحدث التاريخي قد

(1) القرآن الكريم: سورة البروج، آية 4-7

(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 1، ص 362

(3) ابن هشام، السيرة النبوية، ج 1، ص 24

استوفى كل مقوماته الأساسية فخرجت إلينا الروايات التاريخية اقرب إلى السرد القصصي منها إلى التدوين التاريخي الذي نصبوا إليه.

إذن من هذا النص نستطيع أن نجزم بأن هناك حملة سبقت حملة ارباط وقد منيت هذه الحملة بالفشل ولربما كان قائد هذه الحملة دوس ذو ثعلبان ومهما تكن الأسباب فإن اليمن قد احتلت من قبل الأحباش⁽¹⁾.

وبالعودة إلى المصادر التاريخية نجد رواية يتيمة انفرد بها الطبري⁽²⁾ عن سائر المؤرخين يوردها من وجه واحد (على غير عادته) في نهاية سرده لحملة ارباط إن هناك معركة قادها ذو نواس مع الأحباش ولكن لم يذكر عدد هذه القوات أو حتى اسم قائد الحملة، يقول "إن السفن لما قدمت على النجاشي من عند قيصر حمل جيشه فيها فخرجوا في ساحل المندب قال فلما سمع بهم ذو نواس كتب إلى المقاول يدعوهم إلى مظهرته وإن يكون أمرهم في محاربة الحبشة ودفعهم عن بلادهم واحدا فابوا وقالوا يقاتل كل رجل عن مقولته وناحيته فلما رأى ذلك صنع مفاتيح كثيرة ثم حملها على عدة من الإبل وخرج حتى لقي جمعهم فقال: هذه مفاتيح خزائن اليمن قد جئتم بها فلکم المال والأرض واستبقوا الرجال والذرية فقال عظيمهم اكتب بذلك إلى الملك فكتب إلى النجاشي فكتب إليه يأمره بقبول ذلك منهم فسار بهم ذو نواس حتى إذا دخل بهم صنعاء قال لعظيمهم وجه ثقات أصحابك في قبض هذه الخزائن فعرف أصحابه قبضها ودفع إليهم المفاتيح وسبقت كتب ذي نواس إلى كل ناحية: إن اذبحوا كل ثور اسود في بلدكم فقتلت الحبشة فلم يبق منهم إلا الشريد"⁽³⁾، من هذا النص نستنتج إن هناك حملة عسكرية قادها الأحباش سبقت حملة ارباط لم يكتب لها النجاح.

(1) الأزرقي، أخبار مكة، ج1، ص104.

(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج2، ص127.

(3) المصدر السابق.

الفصل الرابع (4)

اليمن في ظل الأحباش

* المبحث الأول / اليمن في حكم الأحباش

** المبحث الثاني / حكم أبرهة لليمن

*** المبحث الثالث / أهم أعمال أبرهة

المبحث الأول

المهيات التاريخية في اليمن

لنا الفخر منها والصميمية في العلا وحسن جنائنها وطيب المغارس

أصبحت البلاد الجنوبية للجزيرة العربية خاضعة للحكم الحبشي بعد أن أزاحوا ملوك حمير من سدة الحكم وأصبحوا هم أولي الأمر وانتهي في البلاد بعد هزيمة الملك ذونواس الذي لم يعرف مصيره إذ تشير رواية الاخباريين أنه دخل بفرسه في البحر⁽¹⁾ حتى غاب، مما يعني أن المعركة بين الأحباش والحميريين كانت بالقرب من الشاطئ وربما في موضع نزول الحملة الحبشية حيث رست سفنهم المحملة بالجند⁽²⁾ الذين اعدوا لهذه الحملة حيث أصبح هذا الميناء ساحة لتلك المعركة الفاصلة.

ونستنتج من قصيدة قالها عمرو بن معدي كرب الزبيدي في شيء كان بينه وبين قيس ابن مكشوح المرادي قبله أنه يتوعدده فقال يذكر حمير وعزها ومازال من ملكها عنها، أن الملك ذو نواس كان من أشهر الملوك في اليمن وأقواهم وأنه لم يضرب بملكه حمير بسهولة ومما جاء فيها

أتوعدني كأنك ذو رعين	بأفضل عيشة أو ذو نواس
وكائن كان قبلك من نعيم	وملك ثابت في الناس راس
قديم عهده من عهد عاد	عظيم قاهر الجبروت قاس
فأمسى أهله بآدوا وأمسى	يحول من أناس في أناس ⁽³⁾

ويذكر إن أرياط حين نزل في ساحل اليمن خطب في جنده قائلا "يا معشر الحبشة قد علمتم أنكم لن ترجعوا إلى بلادكم أبدا هذا البحر بين أيديكم إن

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج 4

(2) سعد زغلول، في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص 197

(3) ابن هشام، سيرة ابن هشام، ج 1، ص 26

دخلتموه غرقتم وإن سلكتكم البر هلكتم واتخذكم العرب عبيدا وليس لكم إلا الصبر حتى تموتوا أو تقتلوا عدوكم⁽¹⁾.

فاقتلوا قتالا شديدا فكانت الدولة للجيش "ويقال إن قبيلة بني سعد القريبة من مدينة بأجل ساعدت الأحباش⁽²⁾" فظفر أرياط وقتل أصحاب ذي نواس وانهزموا في كل وجه فلما تخوف ذي نواس أن يؤسر ركض فرسه واستعرض به البحر وقال "الموت في البحر أحسن من الأسر⁽³⁾"، ثم أقحم فرسه لجة البحر فمضى به فرسه وكان آخر العهد به.

فيما تشير بعض كتب الباحثين إن من تزعم هذه الحملة وكان على رأس الأحباش الذين احتلوا اليمن هو ملك اكسوم (كالب إلا أصبحه) وكان يرفقته أحد أقارب ملك حمير السابق ذي نواس (سميفع اشوع) الذي كان لاجئا في الحبشة بسبب معارضته لأبي نواس فكان من أول الأعمال أمر ملك اكسوم بتنفيذها هي إطلاق سراح نصارى نجران وتعميرها ويعد أن أقام ملك اكسوم في اليمن حوالي سبعة أشهر عاد إلى مملكته تاركا في اليمن سميفع اشوع ملكا عليها، أما قادة الوحدات العسكرية الحبشية في اليمن فقد شكلوا إلى جانب الملك مجلسا استشاريا وكان على ملك حمير أن يحسب حساب لقرارات هذا المجلس الاستشاري⁽⁴⁾، مما يعني إن حكمه أصبح شكليا باعتبار إن المجلس هو من يحكم "نصب النجاشي السميّفع اشوع ملكا على اليمن اختاره من بين نصارى حمير على أن يدفع إلى الأحباش جزية سنوية".

ولابد من الإشارة إلى كتابة حبشية ناقصة عثر عليها سنة (1947) بمارب فيها إشارة إلى دخول الحبشة إلى اليمن وإن لم ينص على ذلك نصا ويظن أنها

(1) جرجي زيدان، العرب قبل الإسلام، ص 133، عنان، تاريخ حضارة اليمن القديم، ص 60

(2) جرجي زيدان، العرب قبل الإسلام، ص 133.

(3) الملّاح، هاشم يحيى، الوسيط، في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الكتب العلمية، (بيروت 2008) ص 92

(4) سهيل زكار، تاريخ الوطن العربي القديم، ص 87.

تشير إلى استيلاء (إلا أصبحه) النجاشي على اليمن سنة (525) للميلاد وانتصاره على ذي نواس ويظهر من هذه الكتابة إن حملة الجيش على اليمن نقلت في قافلتين من السفن تحركت القافلة الأولى بقيادة النجاشي الذي كان قد احتجز سفينة خاصة فعبرت به باب المندب ورست عند ساحل اليمن وكانت سفينة النجاشي أول سفينة بلغته ثم تلتها بقية السفن وقد سقط من الكتابة اسم الموضع الذي رست السفن فيه ولعله (مخا).

فوقعت معارك بين الجيش وبين الحميريين، انتصر فيها الأحباش فأخذوا أسرى وغنائم.

"ولما كان النص ناقصا وقد طمست من الكتابة الباقية منه كلمات فقد صار غامضا مقتضبا لا يفهم منه إلا إشارات⁽¹⁾، ولقد قرأت هذا النص الذي كتبه أو أمر بكتابته القليل شرحبيل ذي يزان عندما رابط في نجران بقبائل همدان حضرا وإعرابا ويرماة من الازن (اليزنين) وبأعراب كنده ومراد ومدحج⁽²⁾، وقد افتتح النص بالدعاء التالي "ليبارك ألن الذي له السماء والأرض الملك يوسف آسار يثار ملك كل الشعوب وليبارك الاقيال لجيش يرخم وسميضع اشوع وشرحثيل اشوع وشرحبيل اسعد بني شرحبيل يكمل سادة نيران وجدن الذين ساندوا سيدهم الملك يوسف آسار يثار عندما دمر حرقا دهر الكنيسة أو القليس وقتل الاحباش بظفار⁽³⁾".

إذا من خلال هذا النص نجد إن السميضع اشوع كان من ضمن الاقيال الذين ناصروا وقتلوا مع الملك اليمني ذي نواس وكانوا من اقيال (يزان) (يزن) وقد لعبوا دوراً هاماً في الميدان السياسي والعسكري لهذا العهد وقد ختم النص بعبارة

(1) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج3، ص 378

(2) بافقيه، تاريخ اليمن القديم، ص 154

(3) المرجع السابق ص 155

مهمة هي (رب هود يرحمئن) أي (بالرحمن رب يهود) ويدل هذا النص على أن كاتبه كان من اليهود أو من العرب المتهود⁽¹⁾.

ويبدو إن هذه المعارك استمرت إلى عام 640 حميري حيث على نص مؤرخ عن التاريخ جاء فيه "سميفع اشوع ونيهو شرحبيل يكمل ومعد كرب يعضر بني لعتت يرخم الهت الكلاع وذيزان وجدتم..... الخ"⁽²⁾ وقد سطر سميفع اشوع وولدا أخيه ذلك النقش في طريق القصبة الصاعدة إليه وتحصنوا به عندما عادوا من أرض حبشة ووجدوا الأحباش بأرض حمير حيث قتلوا ملك حمير وأقياله الحميريين⁽³⁾.

والسؤال هو ماذا كان يفعل سميفع وولدا أخيه في الحبشة؟

ثم من هو ملك حمير الذي قتله الأحباش، ولماذا لم يذكر اسمه؟

كذلك لماذا خلا النقش من أية إشارة دينية؟

وعلى نقيض كتابات المصادر التاريخية التي تبين إن أرباط هو من تولى الحكم في اليمن بعد ذي نواس فإن كتابات الباحثين تشير إلى السميفع اشوع هو من تولى الملك هناك⁽⁴⁾، إننا إذا تأملنا قائمة القبائل والمناطق في اليمن نجد أن السميفع يدعي السيادة على قبائل ومناطق واسعة تمتد من حضرموت إلى منطقة ظفار، ويبدو من النص إن السميفع يدعي أنه كان يقبع متربصاً في حصن الغراب وإن الأمور لم تكن قد استقرت بعد في سنة 640 حميري ولعل تسوية قد تمت بعد احتلال الأحباش لمدينة ظفار والمناطق الغربية بين الأحباش وبين هذا الزعيم اليمني ولعل اختفاء النغمة اليهودية في نقشه كان دليلاً أو تمهيداً لتحول ديني

(1) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج2، ص 464

(2) بالقرية، تاريخ اليمن القديم، ص 157

(3) المرجع السابق ص 158

(4) سعد زغلول، في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص 198

أتاح له التفاهم مع الأحباش⁽¹⁾، أما المصادر الإسلامية فهي تكاد تخلو من ذكر ملك بعد ذي نواس تولى على حمير وإن الأحباش هم من تولوا إدارة الملك هناك بعد أن وضعوا القائد أرياط حاكما وقائدا على اليمن ومن خلال روايات الإخباريين العرب نجد إن صراعا على السلطة قد ظهر داخل القيادات الحبشية في اليمن إذ تشير هذه الروايات إن الأحباش حين غزو اليمن كان على رأس الجيش القائد الحبشي أرياط⁽²⁾، وكان برفقته أو ضمن جنوده أبرهة الحبشي فأقام أرياط باليمن سنتين في سلطانه لا ينازعه أحد ثم نازعه أبرهة الحبشي الملك وكان في جند من الحبشة فأنحاز إلى كل واحد منهما من الحبشة طائفة ثم صار أحدهما إلى الآخر فكان أرياط يكون بصنعاء ومخاليقها وكان أبرهة يكون بالجند ومخاليقها فلما تقارب الناس ودنا بعضهم من بعض أرسل أبرهة إلى أرياط انك لا تصنع بأن تلقى الحبشة بعضهم ببعض فتقضيها بيننا.

فأبرز لي وأبرز لك فأينا ما أصاب صاحبه انصرف إليه جنده، فأرسل إليه أرياط قد أنصفت فخرج أرياط وكان رجلا عظيما طويلا وسيما وفي يده حربة له، وخرج له أبرهة وكان رجلا قصيرا حادرا لجما وحدادا وكان ذا دين في النصرانية وخلف أبرهة عبد له يحمي ظهره يقال له عنوده فلما دنا أحدهما من صاحبه رفع أرياط الحربة على جبهة أبرهة فشرمت حاجبيه وعينييه وأنفه وشفتيه فبذلك سمي أبرهة الأشرم؛ وحمل غلام أبرهة عنوده على أرياط من خلف أبرهة فزرقه بالحربة فقتله فأنصرف جند أرياط إلى أبرهة فاجتمعت عليه الحبشة باليمن⁽³⁾.

وحدث ذلك دون علم النجاشي فلما عرف ذلك أقسم انه لن يترك أبرهة حتى يطأ بلاده ويجزئ نصيبه⁽⁴⁾، وعندما علم أبرهة بما أقدم عليه النجاشي حلق شعر رأسه وحمل حفنة من تراب اليمن في جراب وبعث بهما إلى النجاشي ومعهم

(1) بالقرية، تاريخ اليمن القديم، ص 158

(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 1، ص 365

(3) الأزهري، أخبار مكة، ج 1، ص 104

(4) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج 2، ص 128

كتاب قال فيه: أيها الملك إنما كان أرياط عبدك وأنا عبدك فأختلفنا في أمرك وكل طاعته لك إلا أنني كنت أقوى على أمر الحبشة وأضبط لها وأسوس منه وقد حلفت رأسي كله حين بلغني قسم الملك ويعتث إليه بجراب تراب من أرضي ليضعه تحت قدميه فيبر بقسمه في فلما انتهى ذلك إلى النجاشي رضي عنه وكتب إليه أن اثبت بأرض اليمن حتى يأتيك أمري فأقام أبرهة باليمن⁽¹⁾.

فيما يشير الدكتور خالد العسلي⁽²⁾، نقلا عن بروكوبيوس، إن من قام بالهجوم على اليمن الملك الحبشي وبعد أن حقق الانتصار أناب عنه في الحكم (سميفع اشوع) استمر حكمه خمسة أعوام بعد ذلك ثار عليه أبرهة ويصف بروكوبيوس هذه الأحداث بقوله: في هذا الجيش الحبشي عدد من العبيد وكل أولئك الذين لهم ميل إلى فعل الشر لم يرغبوا بالرجوع مع الملك تركهم واستقروا هناك وذلك لرغبتهم في أرض حمير لأنها أرض خصبة وهؤلاء بعد وقت قصير من هذا اتحدت هذه الفئة مع أمثالها وثاروا ضد الملك سميفع وحبسوه بأحد الحصون هناك ثم نصبوا ملكا على الحميرين اسمه أبرماس أبرهة، وأبرهة هذا كان نصرانيا ولكنه عبد لتاجر روماني، الذي كان يعمل في تجارة السفن في عدولي في الحبشة وعندما علم (أصبحه، المقصود به ملك الحبشة) بما حدث قرر أن يعاقب أبرهة مع أولئك الذين ثاروا معه وذلك لأسائتهم للسميفع وأرسل ضدهم جيش من ثلاثة آلاف رجل بقيادة أحد أقاربه، وعندما وصل هذا الجيش لم يرغب العودة إلى بلاده، وفضل البقاء في الأرض الجديدة وهكذا وبدون علم قائدهم قاوضوا عدوهم قبل أن يبدأ القتال، وقتلوا قائدهم والتحقوا بجيش العدو وهكذا بقوا هناك، ولكن الصبيحة غضب غضبا شديدا وأرسل جيشا آخر ضدهم، وهذا الجيش اصطدم مع أبرهة ورجاله، وبعد إن خسر خسارة فادحة عاد إلى وطنه وبعد ذلك خاف الملك للأصبحه ولم يرسل إليه حملة ضد أبرهة، وبعد موت أصبحه وافق أبرهة على دفع عتاوة إلى الملك الحبشي الذي خلفه وبهذه الطريقة استطاع أن يثبت حكمه⁽³⁾.

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 1

(2) دراسات في تاريخ العرب، ص 34

(3) خالد العسلي، دراسات في تاريخ العرب، ص 35.

المبحث الثاني

حكم أبرهة لليمن

أصبح أبرهة الأشمر حاكما للبلاد بعد إن أطاح بحكم أرياط وشرع بتدعيم وضعه الجديد مستخدما كافة السبل في ذلك فقد قضى على الثورات التي قامت ضده حتى أذعنَت اليمن لحكمه، ويعتبر النقش الذي تركه أبرهة أثناء فترة حكمه من أهم الوثائق التي أرخت لتلك الحقبة إذ نستنتج من خلاله سعي أبرهة إلى رسم وتنظيم الحياة السياسية في هذا البلد على الصعيد الداخلي والخارجي متخذًا من الديانة النصرانية شعارا لدولته "بنعمة الرحمن الرحيم ومسيحه وروح القدس"⁽¹⁾، ومتلقبا باللقب الملكي الحميري الطويل "ملك سبا وذي ريدان وحضرموت ويمنت وإعرابها في النجاد وتهامة"⁽²⁾ وقد جاء في النص (إن أبره عزلَين ملكَين أجعزَين رمحز زيمَين) أي نائب ملك الجعزَين الأحباش والواقع أنه كان قد استأثر بالحكم في اليمن وحصر السلطة في يديه وصار الحاكم المطلق ولم يترك لنجاشي اكسوم غير الاسم حتى أنه دعاه في هذا النص بـ(ملك الجعز) فقط⁽³⁾.

ويتضح من فحوة ذلك النص الذي تلقب فيه ملكا على كل بلاد اليمن فضلا عن يمنت وإعرابها في النجاد وتهامة أي أنه ملك على كل الجزيرة العربية من بدوها وحضرها مدى أطماع أبرهة التوسعية في بلاد العرب وسعيه إلى توطيد نفوذه في هذه البلاد⁽⁴⁾.

ويبدأ النص بذكر الثورات التي قامت ضده وكيفية تمكنه من إخمادها ومعالجتها قبل أن تستفحل من جديد، وقد جاء في النص والذي يعد واحد من أكبر النصوص المكتشفة.

(1) جرجي زيدان، تاريخ العرب قبل الإسلام، ص 162

(2) سهيل زكار، تاريخ الوطن العربي القديم، ص 88

(3) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج 3، ص 381

(4) خالد المسلي، دراسات في تاريخ العرب، ص 34

يخيل/ورد/ورحمة/رحمن/ومسحهو/وروح قدس/سطرو/ذن مسند/إن/.....
 ها/عزلسي/ملككن/اجعززين/رمحز/زيينم/ملك/سبأ/وذ
 ريدان/وحضرموت/ويمنت/واعرابهو/طودم/وتهامت/وسطرو/ذن/مسند/كقدس/
 واخلف/بجزمن/يزد/بن/كبشت/خلقتهو/ذ ستخلقو/على/كدت/ودا/كتبلهو/
 خلقتن/وقدسو/وعمهو/اقول/سبأ/اسحرن/مرت/وئمت/وحنشم/ومرثدم/
 وحنقوم/ذا خلل/وازنن/اقوانن/معدكرب/بن/سميفع/وهعن/واخواتهم/بني/
 اسلم/وكاسيو/جره/ذريز/بافقن/بقه/ملككن/بمشرق/وهرجهو/وسحتهو/
 وضعت/كدر/ويزد/جمع/ذهطعهو⁽¹⁾.

يتحدث هنا بعد أن يبدأ بذكر الرب والمسيح وروح القدس ليميز لنا ويبين
 دينه ثم يذكر اسمه لاعتبار انه ملك كل العرب في الجنوب والأوسط ليخبرنا
 بعد ذلك عن تمرد احد الاقيال وهو يزد بن كبشه وإخالته بالمواثيق بعد أن
 استخلفوه على كندة فضلا عن تمرد عدد من الاقيال سبأ والاساحر معه وهم مره
 وئمامه وحنش ومرشد وحنف ذو خليل واليزيديون الاقيال معد يكرب بن سميفع
 وهعن وإخوانه بني اسلم⁽²⁾، ورؤساء ذي جرة ذو دنبور الذين زينوا له أن يكون ملكا
 بالمشرق وشجعوه على مهاجمة قلعة (كدار) ومحاربة حضرموت مع إقباعه حيث
 استولى على السلطات هجان المرى الذي فر إلى (عبران) صارخا⁽³⁾.

من خلال هذا النص نستنتج إن حكم أبرهة لم يكن يروق لعرب اليمن على
 اعتبار انه غاصب للعرش الحميري لذا نجد أن (يزيد بن كبشت) (يزيد بن كبشه)
 من السادات البارزين في اليمن والذي كان نائب عن أبرهة وخليفته على قبيلتي
 (كدت) و(دا) قد ثار عليه لسبب لم يذكره النص وأعلن العصيان، وانتقم إليه
 اقيال (اقول) سبأ (اسحرن) (ذ سحر) و(مره) و(ئمت) (ئمامه) و(حنش) و(حنشم)
 و(مرشد) و(حنف) و(حنفم) (ذخلل) (ذو خليل) و(ازانن) (الازان) والقيل (معد يكرب بن

(1) عنان، حضارة اليمن القديم، ص 369

(2) يافقيه، تاريخ اليمن القديم، ص 160

(3) سمس، العلاقات بين شبه الجزيرة العربية والحيشة، ص 206

سميفع) و(همن) و(هعان) وإخوته أبناء اسلم فلما بلغ نبأ هذه الثورة مسامع (أبرهة) سير إليه جيشاً بقيادة (جرح ذبيتر) (جراح ذوزينور) فلم يتمكن أن يفعل شيئاً وهزمه (يزيد) واستولى على حصن (كدر) (كدار)⁽¹⁾ فيما يشير بعض الباحثين أن يزيد بن كبشة اشتبك مع القوة التي أرسلها أبرهة والتي تزعمها دازينور وتمكن يزيد من قتله وهدم قصر كدار وحشد من أطاعه من كندة وحريب وحضر موت وفرهجان الذماري إلى عيران وبلغ الملك الاستصراخ⁽²⁾.

وبالعودة إلى النص لنقرأ:

وحرب/حضر موت/وأخذ/مزنم/هجن/اذمرين/وعود/عيرن/ووحهمد/
صرخن/وشتاؤ/وجمعو/اجيشهمو/حبشت/وحميرم/بناالفهم/بورخ/ذقيضن/
ذلسبعت/وخمس/وش/مائم/وشتاؤ/ووردو/مقلي/سيا/شامو/كدر/الو/
ولد/وحميرم/وخليفهو/وطهو/عوده/ذي/جدنم/وصمهمو/يزد/بن/بطم/
وهدهمو/يدهو/قدمي/ذكين/.⁽³⁾

بعد أن اتا أبراهة الصريخ وعلم بان قائده (ذوزينور) قتل، جمع جيوشه حبشت وحميرم بالآلاف في شهر ذي الفيض من عام 657 (حميري) وتحرك عن طريق صرواح شمالاً نحو (نبط) في اتجاه العبر ومن (نبط) أخذ يعد العدة لإرسال سريه إلى كدار ولكن يزيد سارع إلى إعلان ولاءه قبل أن تتحرك السريه المذكورة⁽⁴⁾، ويظهر من النص إن ثورة (يزيد بن كبشة) كانت ثورة عنيفة قوية وإنها شملت حضرموت و(حريب) و(ذوجدن) و(حياب) عند (صروح) ولكنها فشلت فجاء يزيد ويبيع لأبرهة بالولاء والطاعة بين يدي القواد.⁽⁵⁾

(1) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج3، ص382

(2) جرجي زيدان، تاريخ العرب قبل الإسلام، ص162

(3) عنان، حضارة اليمن القديم، ص369.

(4) بافقيه، تاريخ اليمن القديم، ص160

(5) جرجي زيدان، تاريخ العرب قبل الإسلام، ص162

والسؤال المطروح هنا هل أن يزيد بن كبشة استلم؟ ولماذا لم يعاقبه أبرهة؟ سيما أنه تمرد عليه وقتل جنده؟ أم إن هناك مفاوضات جرت أرضت طموح يزيد بن كبشة؟ وبالعودة إلى نص نجد ما يأتي.

صرخم/بن/سبا/كثير/عرمن/وعودن/وخبثم/ومضرفت/ذافن/بورخ/
ذمذرن/ذليعت/وبعدن/وصحهو/ذن/عهدن/هقدمو/بردذن/برث/يدذن/عرين/
العت/داجاو/عم/يزد/وكلهمو/هعدو/ايدهمو/عرههمو/يبر/وسروتين/
ذهن/كدر/قرنو/اقولن/العت/قدو/عملكن/ذكت/عصتم/على/اشعين/
لحررتم/ومسرم/وجريتم/وبراو/وخضجم/ونعت/وحهرم/وهذم/عرمن/وعودن/
ومثيرتن/ذمبرب/وهوى/عدحو/بوض/ذصرين/ذلسبت/وبعدن/ذكيو/عظثن/
ودن/عرين/عديو/وهجرن/مرب/وضدسو/بعت/مرب/كبهو/قسم/ذبتله/
وينهو/يفعو/عرمن/وحضرو/ثو/وصحو⁽¹⁾.

يدون أبرهة في تصه هذا تفاصيل الأحداث التي جرت مع يزيد بن كبشة بشكل مقتضب فسبب التمرد غير معلوم وكذلك السبب الذي أوقف فيه الحملة مجهول وكل الذي يريد أن نخبرنا به أنه: جمع جيشه وانفذ من (صروح) إلى مشارف سبا (قائده) على نبط نحو (عبران) ولما وصل نبط إلى قلعة (كدار) ومعه خليفته (أي عامله) ذو جدن⁽²⁾، الذي اعذر المتمردين واجتمع بسادات كدار ثم عاهدهم بمحضر سادات (كدار) وعند ذلك جنح إلى طاعة قبائل (التراخم) و(العود) و(خبش) و(مضرفة ذا فان) بتاريخ شهر المذار من نفس العام وبعد هذا العهد قدم إليه سادة عرب (دا) و(جبا) مع (يزيد بن كبشة) الذين سطوا ايدهم للعهد وقدموا رهائنهم إلى قلعة (كدار) وبعد ذلك جنح إلى طاعة قبائل (التراخم)

(1) عنان، حضارة اليمن القديم، ص 370

(2) ذو جدن: نبو جدن من طبقة الاقباليات والأصل في (جدن) اسم مكان وهو على الأرجح حصن أو قلعة ولعل أسره طال بها الزمن فغلب عليها اسم المكان وأطلقت عليها (بني جون) وفي أيام (يوسف اسار) وهو يوسف ذو ثواس كان بين قائده عدد من (بني جدن) ويبدو أنهم تحولوا عنه وكانوا سببا لانهزام ذي ثواس (الارياجي، نقوش مستديرة ص 130).

و(العود) و(خبش) و(مضرفة ذافان) بتاريخ شهر المنار من نفس العام وبعد هذا العهد وقدّموا رهاائنهم إلى قلعة (كدار) وبعد ذلك قدم الأقبال وكبراء تلك القبائل قاصدين الملك أبرهة⁽¹⁾، من مفهوم هذا النص نستنتج إن مفاوضات جرت بين الطرفين تمخض عنها حدوث الصلح أما شروطها وأسبابها فهي طي الكتمان ولربما تخبرنا التنقيبات الحديثة عن تفاصيلها في المستقبل فيما يعلق الدكتور جواد علي⁽²⁾، على ذلك بقوله.

إما يزيد بن كبشة فلا نعرف عن أمره في الزمن الحاضر إلا شيئاً يسيراً وهو ما ذكره أبرهة في تصه عنه من أنه عينه عاملاً ووكيلاً عنه على قبيلة (كدت) (كده) وهي كندة على رأي أكثر العلماء وأما الأقبال الذين انضموا إليه وساعدوه فهم يمثلون على الجملة الطبقات الأرستقراطية القديمة في سبأ.

لم تكن حملة أبرهة على يزيد بن كبشة الحملة الأخيرة فقد تلتها حملة أخرى لا تقل شيئاً عنها ومن الأهمية التاريخية بمكان أن نتحدث عن تلك الحملة حيث يتجلى فيها التوسع الحربي الحبشي ويظهر خارج حدود العربية الجنوبية وقد عرفت هذه الحملة من خلال نص عثر عليه عرف باسم مريغان⁽³⁾، ويظهر من خلال هذا النص إن (أبرهة) غزا بنفسه معد في شهر (ذي شبتان) من ربيع سنة (662)

(1) سمس، العلاقات بين شبه الجزيرة العربية، ص 207

(2) جواد علي، الفصل في تاريخ العرب، ج 3، ص 382

(3) تقع مدينة مريغان التي تعرف اليوم باسم منطقة بئر مريغان على بعد 230 كم شمالي غرب نجران في المملكة العربية السعودية وعلى ما يبدو أنها كانت محطة رئيسية للقوافل نظراً لكثرة الأباريها وفرة مياهها الباطنية بالإضافة إلى العثور على كثير من النصوص المربية القديمة وأهم تلك النصوص التي عثر عليها نص مريغان أو نص (Rychmens) والتي عثرت عليه بعثة ريكمنز Rychmens وفليبي Philby ولبنيز Lippens في عام 1951م أثناء تجوالهم في المملكة العربية السعودية للتنقيب من آثارها، وقد عثر عليه منقوش في الصخر على ارتفاع حوالي سبعة أمتار عن الأرض مدوناً بالخط الحميري (المستند) المتأخر وقد قام بنشره العالم الفرنسي ج. ريكمنز في مجلة الدراسات السامية Le Museon وإعطاء رمز (Rychmens 506) وشيخ عبد المنعم عبد الحليم سيد إلى إن ذلك النص قد أشار اهتماماً كبيراً بين الباحثين في مجال الدراسات السامية ويرجع ذلك بسبب شهره شخصية أبرهة الحبشي في كتب الإخباريين المسلمين، ومن أشهر الذين تولوا دراسته كاسكل وييشون وستلي سميث وشيتل وكثير وكوتداه بالإضافة إلى تعليق جاك ريكمنز ابن ج. ريكمنز على هذا النص ينظر (سمس، العلاقات بين شبه الجزيرة العربية، ص 216)

حميري والتقى بها في موضع (حلين) (حليان) فهزمها وانتصر عليها⁽¹⁾، وقد جاء هذا النص على شكل عشرة أسطر ومما جاء فيه

1. بخيل /رحمين /رمسجهو /ملكن /ابره /زييمن /ملك /سبا /وذريدن /وحضرموت.
2. ويمنت /واعرابهمو /وطوادم /ونهمت /سطرو /ذن /سطن /كغزيو.
3. معدم /غزوتن /ربعتن /بدرخن /ذثيتن /كتسدوكل /بن /يعمرم.
4. وذكي /ملكن /ابجبر /يعم /كدت /وعل /ويشرم /بنحضم /يعم.
5. سعدم /ومخضو /وضرم /قدمي /جيشن /علي /ينييعمرم /كدت /وعلي ...
زرن /مردم /وسعدم /بود.
6. بمنهج /ترين /وهرجو /واسرو /ومنوم /ذع /سم /ومخض /ملكن /بجلبن /ودنه.
7. كطل /معدم /ورهن /ويغذنهو /وسعهوم /عمرم /بن /مذرن.
8. مرهنهمو /بنهو /وستخلفهو /علي /معدم /وقضلو /بت /حل.
9. بن /بخيل /رحمتن /ورخهو /ذثيتني /وسشي /وس.
10. ثماقم.⁽²⁾

وترجمة هذا النص هي:

1. بقوة الرحمن ومسيحه الملك أبرهة زبيمن ملك سبا وذوريديان وحضرموت.
2. ويمنت والإعراب في الطود وتهامة، سطروا هذه الأسطر {عندما} غزو.
3. معد في غزوة الربيع في شهر (ذثيتن) عندما ثار كل بني عامر.

(1) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج3، ص390

(2) خالد العسلي، دراسات في تاريخ العرب، ص40

4. وعندما أرسل الملك أبا جبر مع كندة وعلى {أهل العالية} ويشير بن حصن مع.

5. سعد وحاربوا وأضرعوا أمام الجيش ضد بني عامر.. كندة.. و... مراد وسعد في وادي.

6. الذي يصب في تربه وقتلوا واسروا وغنموا غنائم {وفي الطرف الثاني} قاتل الملك بحليبان وغنم واضطرت.

7. معد لدفع رهائن، ويعد ذلك جاءهم عمرو بن المنذر.

8. ورهن بنيه فاستخلفه {أبرهة} على معد وقفل {أبرهة} من.

9. حليبان بقوة الرحمن بتاريخ لاثنين وستين.

10. وستمائة.⁽¹⁾

فيما يعلق على ترجمته جواد علي بقوله:

بحول الرحمن ومسيحه، الملك أبرهة زبيمان ملك سبأ وذو ريدان وحضر موت ويمنت (اليمن) وإعرايها في الطود (الهضبة) وفي تهامة (المنخفضات) سطروا هذه الأسطر لما غزت معد الغزوة الربيعية بشهر ذو الثبات (ذيثان) (ذوالثبث) ولما غلظ (ثار) كل (بنو عامر) أرسل الملك (أبا جبر) بقبيلة (كدت) كندة وقبيلة (عل) و(يشربن حصن) (بشرم بن حصنم) بقبيلة (سعد) لحرب (بني عامر) فتحركا بسرعة، وقدمتا جيشهما نحو العدو، فحاربت (كدت) كندة وقبيلة (عل) بني عامر ومرادا وحاربت (سعد) بواد (بمنهج) ينهج (يؤدي) إلى (ترين) (الترب) فقتلوا من بني عامر واسروا وكسبوا غنائم، وأما الملك فحارب (حليبن) (حليبان) بحول الرحمن بتاريخ اثنين وستين وست مئة⁽²⁾.

(1) خالد العملي، دراسات في تاريخ العرب، ص 41

(2) جواد علي، الفصل في تاريخ العرب، ج 3، ص 390

وقد أشار هذا النص خلاف بين الباحثين حيث ظهرت عدت آراء في تفسير
فقسم منهم من ذهب إلى أنه حملة أبرهة هذه هي حملة الفيل التي استهدفت بها
مكة والتي جاء ذكرها في القرآن الكريم وفي كتب الإخباريين المسلمين.⁽¹⁾

ومن دراسة هذا النقش نستدل على أن أبرهة قام فعلاً، بحملة خارج اليمن
وإن هذه الحملة انشطرت إلى قسمين.

فقد قاد الحملة الرئيسية أبرهة نفسه ضد قبائل معه الساكنين في
حليبان،⁽²⁾ وفي قوة أبرهة يصف المخبل السعدي⁽³⁾ ميل يتي سعد إليه، بقوله:

(1) إن حجتهم في ذلك على بعض الروايات العربية التي أوردها بعض الإخباريين والتي أشارت إلى مولد الرسول (ص) كان بعد
عام الفيل بحوالي 23 عام أي في عام 547م وهو الموافق 622 حميري من جمل سنة 115 ق م مبدأ للتقويم الحميري أو عام
555 ل من جمل مبدأ التقويم الحميري سنة 109 ق م، ويضيف كذلك إلى ذهب إلى بعض ما ذهب إليه بعض الإخباريين
المسلمين حول حساب السنين عند الفريسيين وتحويلهم إلى التقويم الميلادي نجد أن عام الفيل كان حوائى سنة 552م وهو
تاريخ يطابق ما ذهب إليه ريكمنز من جعل مبدأ التقويم الحميري 109 ق م ويضيف عبد المنعم عبد الحليم سيد على أنها
أكثر الروايات شيوعاً واعتماداً عليها لإثبات أن ذلك النص يدل على حملة أصحاب النيل في مكة، واشتهر من تناقله من
المؤرخين المستشرق كستر kister معتمداً في ذلك على ما نقله من مخطوط كتاب نسب فريش للزبير بن بكار وقد جاء
فيها ".... حدثنا الزبير قال حدثني صمر بن أبي بكر الخثمي عن زكريا بن أبي عيسى ن ابن شهاب إن قريشا كانت تعد قبل
رسول الله (ص) من زمن الفيل كانوا يعدون بين الفيل وبين الفجار أربعين سنة وكانوا يعدون بين الفجار وبين وفاة هشام بن
المغيرة ست سنين وكانوا يعدون بين وفاة هشام وبين بنيان الكعبة تسع سنين وكانوا يعدون بين بنيان الكعبة وبين خروج
الرسول (ص) إلى المدينة خمس عشرة سنة منها خمس سنين قبل أن ينزل عليه، ثم كان العدد يعد " فجمع حكيمتر تلك
المنشئ فوجدها سبعين عاماً من عام الفيل حتى الهجرة وحيث إن تاريخ الهجرة كما هو مشهور عام 622م ويظهرها من
بعضها يكون عام الفيل هو سنة 552م وهو تاريخ النص، ولقد استخرج عبد المنعم عبد الحليم تلك الرواية من مخطوطة
موجودة في مكتبة يوديان باكسفورد ونالها فوجد اختلاف في رواية الزبير بن بكار، 206هـ، وروايات الإخباريين الأوائل
أمثال ابن هشام والأزرقي المتوفيان 222م بالإضافة إلى إغفال هذه الرواية ذكر مولد الرسول (ص) والتي لم تقضها أي من
المصادر الإسلامية المتقدمة أو المتأخرة ويرى أن ذلك يرجع لخطأ النسخ في عصر المؤلف أو من الذي يعدة وعلى أي حال هذا
الرائي قد أخذ به الكثير من الباحثين وهكذا استغله الكالدين على الإسلام للتشكيك فيه وفيما جاء به القرآن الكريم والذي
أشار إلى فناء جيش أبرهة عن بكرة أبيه ولم يبق إلا القليل حسب تأويل المفسرين ولذلك ما يناقش مدلول نص مرفغان.

ينظر (مسهم، العلاقات بين شبه الجزيرة العربية، ص 218-219).

(2) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 1، ص 281

(3) للمخبل: اسمه الربيع بن ربيعة من تميم، وهو شاعر فحل من مخضرمي الجاهلية والإسلام وطال عمره حتى مات
في خلافة عمر بن الخطاب (رض) وله معه قصة في شأن ابنه سنان والذين تسموا بالمخبل أربعة شعراء أو أحدهم
وهو السعدي (فيس وثمانى وقرتي) والمخبل من الخبل وهو اشرفاء في الفاضل من ضعف أو جثون، ينظر هاشم
(الهمداني، الإسكلي، ج 2، ص 160)

ضربوا لأبرهة الأمور محلها حلبان فأنطلقوا مع الأقوال
ومحرق والحارتان كلاهما شركاؤنا في الصهر والأموال

وقال فيه أيضاً وافتخر ببلانهم معه:

ويوم أبي يكسوم والناس حضر على حلبان إذ نقضى محاصله
فتحنا له باب الخضير وريه عزيز تمشي بالسيف أراحله⁽¹⁾

ومما يؤكد توغل أبرهة في أواسط شبه الجزيرة العربية في ذلك الوقت هو ما تحدث به النص عن علاقة أبرهة بإمارة الحيرة آنذاك والتي كان على رأسها كما يذكر النص المنذر وابنه عمرو الذي قابل أبرهة في حلبان وكان ذلك على اثر انتصار أبرهة على معد وقد تفاوض معه من أجل أن يقيمه أميراً على معد وأنه وأباه سوف يقدم ما بين يدي أبرهة رهائن من معد ليكون بمثابة تأمين لأبرهة ضد أي محاولة لثلاثقلاب عليه.

ويؤيد ما جاء في النقش من أنه يسجل حملتين أحدهما قادها أبرهة ضد سعد في حليبا أما الحملة الثانية فقد أرسلها أبرهة ضد بني عامر في وادي تربه⁽²⁾.

ويؤيد ما جاء في النقش من أنه يسجل حملتين شعر لطرفة بن العبد إذ كان بنجران وشاهد عن كُتب الاستعدادات التي كان يعدها أبرهة لغزو معد ومكة وشاهد تحرك الجيشين فأرسله طرفة بثلاثة أبيات من الشعر إلى عمرو بن هند يحذره من تقدم أبرهة إلى الحيرة وقد جاء فيها:

من مبلغ عمرو بن هند رسالة فليت غراباً في السماء يناديك
فريقان منهم كعبة الله زائرا وأخران إن لم يقطع البحر اتيك
بنجران ما امض الملوك أمورهم فلا اسمعن ما أقمت برايك⁽³⁾

(1) الهمداني، الإكليل، ج2، ص160

(2) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص176

(3) خالد المسلي، دراسات في تاريخ العرب، ص43

المبحث الثالث

أهم أعمال أبرهة

أصبحت بلاد العرب الجنوبية تخضع لحكم أبرهة بعد أن فرضه سطوته عليهم وارهبهم واتخذ من صنعاء عاصمة له ومقرا لحكمه واستطاع رغم الثورات أن يدير دفة الحكم بكل ثبات وأن يكتسب صيتا عاليا بين العرب الذين كانوا يكونونه بابي يكسوم، ولأبرهة ذكر وشهرة في كتب أهل الأخبار والتاريخ، وقد ورد اسمه في الشعر الجاهلي وضرب به المثل في القوة والجبروت والسلطان حتى لتجد أهل الأخبار يذكرون أسماء جملة أشخاص دعوهم (أبرهة) ذكروا أنهم حكموا اليمن والظاهر إن الشهرة التي بلغها في أيامه وغزوه للقبائل العربية واستعماله القسوة معها إحاطته بهالة في أيامه تضخمت فيما بعد فاهبط بقصص وأساطير⁽¹⁾، حتى قالوا فيه إشعارا:

في الدهر خلده أبو يكسوم

لو كان حي في الحياة مخلدا

وكذلك قيل فيه:

ابدا لأدركه أبو يكسوم

لو كان حي في الحياة مخلدا

وأبو قبيس فارس اليموم⁽²⁾

والتبعان كلاهما ومحررق

ويبدو إن أبرهة كانت له عدت حملات عسكرية في الجزيرة العربية سبقت حملته على مكة لذا نجد إن صيته وسمعته قد عمت الإرجاء حتى إن قيامه بحملته الأخيرة الطائشة فصب الله عليه غضبه فأرسله عليه الطير الأبايل، يقول أحد الباحثين يصف واحدة من حملاته

(1) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، ج3، ص380

(2) الهمداني، الإكليل، ج2، ص162.

"سار أبرهة إلى مدينة ممرجان الواقعة على بعد مائة كيلو متر جنوبي مأسل جمع وشمال نجران بمسافة 186 كيلو متر وقام بغزوته الرابعة ضد قبائل معد سنة 553م⁽¹⁾.

ومن أهم الأعمال التي تنسب إلى أبرهة هو اهتمامه الكبير بالإصلاحات الاقتصادية فقد قضى على الثورة التي قامت ضده ومن ثم اهتم بإصلاح البلاد وإصلاح ما أفسدته الثورة في سد مأرب⁽²⁾.

كما جاء ذلك واضحاً في النص الذي تركه حيث أنه لم يتوانى عند سماعه خبر تصدع سد مأرب العظيم والذي كان يشكل عصب الحياة المائية في بلاد العرب الجنوبية آنذاك عن السعي من أجل إعادة الحياة لذلك السد وترميمه وإصلاحه كما يتضح ذلك من هذا النص/

بسبار/ واقوثن/ الهت/ كنو/ عم/ ملكن/ ونظرهوا/ وكعذبهو؟/ بن/ تبعل/ عرن/ عدى/ شعرم/ وكذعر/ أو/ يقدم/ عودن/ قشبنم/ ذنقهو/ باشعين/ خمس/ واربعن/ أمم/ ظلم/ وخمس/ وثلاثي/ أمم/ ريمم/ رحيم/ جريم/ وحرزو/ عرمن/ وسرهمو/ صنهو/ وهقشبوا/ ذهبنشم/ غير/ اقدمن/ ونمرى/ مظلم/ وكذرزاو/ بن/ ذبهو/ يعفو/ لغزوهمو/ وقديس/ بعث/ وعودن/ وعرمن/ خمسي/ الفم/ وثمن/ مئتم/ وسدشم/ دققم/ وسنت/ وعشرى/ الفم/ ثمرم/ بقنتن/ يدع آل/ وطبخم/ ثلاث/ الفم/ ذبيمم/ وبقرم/ وقضنتم/ ثتي/ مئتن/ خدش / يمت/ الفم/ قطنتم/ وثلاث/ مئتم/ أبلم/ سقيم/ وفيصم/ .../ مي/ .../ عشر/ او..م/ بورخ/ ذمعن/ ثمنت/ وخمسي/ وش/ ⁽³⁾.

(1) ناسي، خليل يحيى، العرب قبل الإسلام، دار المعارف، (القاهرة 1986)، ص 91.

(2) سهيل زكار، تاريخ الوطن العربي القديم، ص 88.

(3) عنان، حضارة اليمن القديم، ص 371.

يذكر أبرهة إن العمل استمر في هذا السد الذي تصدع 58 يوما واحد عشر شهرا حتى بلغ طوله 45 ذراعا وارتفاعه 35 ذراعا وكان الفراغ منه في شهر ذو معان سنة 658 حميري⁽¹⁾.

بعد إن بعث إلى القبائل بإنفاذ الحجارة للأساس والحجر الخام والأخشاب وورصاص الصب لترميم السد في مارب بعد إن جاء النبأ بتهديم السد والحائط والحوض⁽²⁾.

ثم يتحدث النص كذلك عن إجمال المصاريف التي أنفقت في لأجل ترميم ذلك السد وإسهامات القبائل العربية في تعميره.

وممن جاء إليه بالأموال والمدد من القبائل يعفر سبأ.

وسراة كنع ونظراؤهم وقد بنوا العرم من الأساس حتى القمة...

ذلك بتطهير العرم، وتلا ذلك تقديس (البيعة)...

(بلغت الأرزاق التي أنفقت خلال العمل)

.... (50806) كيس من الدقيق، 26000 قدرا من التمر

بتقدير يرع آل...

كما طبخ 3000 ذبيحة من الإبل والبقر والغنم مع 7200

من الضأن (خاصة) واحرق 300 غرب من السمّن و 1110...

(1) احمد سوسة، تاريخ حضارة وادي الرافدين، ص 340

(2) جرجي زيدان، تاريخ العرب قبل الإسلام، ص 162.

غريبا من عصير التمر (الدبس) وكانت مدة العمل من يوم 11 شهراً
و28 يوماً

تاريخ (كتابة النقش) شهر معان 658 (543م)⁽¹⁾

فيما يشير أحد الباحثين إلى إجمال النفقات في قراءة لنفس النص على النحو التالي:

"وبلغ ما حرقوه وأنفقوه على الأعمال من اليوم الذي بدأوا به لغزوهم
وتكاليف أعمال السد (50806) كيلة من الدقيق و(26000) كيلة تمر تقدمه من
(يدع ايل) و(3000) ذبيحة بقر وماشية (307000) رأس و (300) حمل بعير من
شراب الغريب والزييب و(11000) كيلة ال حلب من نبيذ التمر واستغرق العمل
في ذلك 58 يوما 11 شهرا وكان الفراغ منه شهر (ذم ع ن) سنة 658 (من التقويم
السبئي)⁽²⁾.

ويبدو أن تصدع السد وصل إلى أبرهة وهو في إحدى حملاته العسكرية التي
أراد بها إخضاع القبائل العربية المعارضة لحكمه، ورغم ذلك فقد عاد مسرعا
لاتخاذ ما يلزم من أجل إصلاحه "أشرك عدد كبير من الناس في إصلاح السد على
الرغم من قيام ثورة ضده حينذاك"⁽³⁾.

وقد أمرهم أبرهة في هذا النص إلى عملية البناء بقوله:

{بوخن/ذصرين/ذاسبعن/ويعدن/ذكيو/عظتن/عرين/عديو/هجرن/مرب
وقدسو/بعث/مرب/كيهو/قسم/ذيمثله/وينهو/يقعو/عمرن/
وحقرو/ثو/وصحو/عرن/بعلو/غرث/بهوثرن/عودن/وكوضعو/لهوثرن/عودن/كن/

(1) سمسم، العلاقات بين شبه الجزيرة العربية، ص212.

(2) خالد المسلي، دراسات في تاريخ العرب، ص37.

(3) الشبيبة، عبد الله حسن، دراسات في تاريخ اليمن القديم، مكتبة الوعي الثوري للطباعة، صنعاء 1999، ص99

ضللم/وعوسم/باشعين/وهجرن/وكل/رايو/كخسنى/ضللن/على/أشعب/اذفو/نه
مو/لاجهمو/وأحمرهو/ويعدن ذا اذنوا/باشعين/}{⁽¹⁾.

يتحدث في هذا النص عن عملية البناء والتاريخ الذي بدأ به هذا الانجاز ثم يقول انه منح العمال إجازة وأمرهم بالتوقف، وقد أشار عدد من الباحثين أسباب مختلفة عن السبب الذي من أجله توقف العمل في ترميم هذا السد وعلى النحو التالي فقد إشارة بعضهم لنفاذ المؤنة كقولهم.

أمر بتحضير مواد البناء والحجارة وحدد من ذلك بشهر (ذصرين) (ذو الصرب) من سنة (657) من تقويم حمير وفي أثناء مدة التحضير هذه افتتح أبرهة كنيسة في مدينة مأرب يظهر انه هو الذي أمر ببنائها، ورتب لخدمتها جماعة من متنصرة سبأ ولما انتهى من ذلك عاد إلى موضع السد لوضع أسسه وإقامته مستعينا بحمير ووجنوده الحبش ولكنه اضطر بعد مدة إلى السماح لهم بإجازة ليهيئوا لأنفسهم الطعام وما يحتاجون إليه⁽²⁾.

وفي حين يشير باحث آخر إن السبب الذي من أجله منحه أبرهة إجازة لعماله هو " انتشر مرض بين القبائل وفي المدينة ولما رأى الملك إن ذلك قد أرقق القبائل إذن لهم أحباشهم وأحمرهم (حميرهم)..."⁽³⁾، وإذن لهم بالانصراف فيما يذكر الدكتور خالد العسلي في قراءة للنص إن السبب وراء توقف العمل في ترميم السد هو نتيجة للعمل المضني الذي قام به هؤلاء العمال فبعد إن جلبوا "المواد المنصهرة لترميم السد والجدار والثلث التي حدثت بمأرب، ويذكر كيف إن القبائل ملوا من العمل فأذن لهم أبرهة بالانصراف ذلك العام ثم عاد مرة ثانية لإكمال ترميم السد"⁽⁴⁾.

(1) عنان، حضارة اليمن القديم، ص 370

(2) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج 3، ص 383

(3) بافقيه، تاريخ اليمن القديم، ص 161

(4) دراسات في تاريخ العربية ص 37.

ومن المفيد أن نذكر هذه الترجمة لنفس النص يوردها جرجي زيدان
يدحض بها حجج من سبقه عن سبب توقف العمل ويرينا جانباً من قسوة أبرهة من
حيث تعامله مع القبائل العربية "توجه أولاً إلى مأرب وصلى في كنيستها ثم عمد
إلى الترميم فنبشوا الأنقاض حتى وصلوا إلى الصخروبنوا عليه وعلم وهو في ذلك
إن القبائل تضايقت من العمل ورأى إعدامهم يعود بالضرر فعفا عنهم أحباشهم
وحميرهم وأذن بانصرافهم⁽¹⁾.

ويبدو إن قراءة جرجي زيدان للنص قد حدث فيها لبس وتداخل فيما يخص
موضوع العقوبة والعفو إذ أن عقوبة الإعدام كانت على الخارجين على حكمه من
إتباع يزيد بن كبشة ومن ناصرهم من أقبال ووجهاء القبائل الأخرى ولما تصدع السد
وتفاوض مع يزيد بن كبشة عفا عنهم وليس المقصود العمال الذين ملوا من العمل
في إصلاح السد ودليل ذلك كيف يعدم الأحباش وهم جنده وقوته.

(1) تاريخ العرب قبل الإسلام، ص 162.

الفصل الخامس (5)

* المبحث الأول / الدوافع والأسباب لاستحواذ أبرهة على مكة

** المبحث الثاني / حملة أبرهة في المرويات التاريخية

*** المبحث الثالث / موقف القبائل العربية من حملة أبرهة

المبحث الأول

الدوافع والأسباب لاستحواذ أبرهة على مكة

حكم أبرهة اليمن حكماً شديداً حتى ضج منه الناس فزاد نفوذه واضطهاده لأهلها لذا خرج عليه الكثير من القبائل الذين انفضوا أن يتسلط على رقابهم أجنبي غاصب إلا أنه في نهاية المطاف تمكن منهم واستقرت البلاد إليه، وكانت الفترة التي استند إليها أبرهة في تثبيت حكمه هي الجند الأحباش الذين تركوا مواطنهم الأصلية واستوطنوا اليمن وارتبطت مصالحهم بها كما استعان بطبقة القادة والأعيان اليمنية في ضبط أمور البلاد⁽¹⁾، ويبدو إن طموحات أبرهة لم تنتهي باستيلائه على أرض اليمن فقط فقد سعى للسيطرة على المدن المهمة في قلب الجزيرة العربية فكانت مدينة مكة الهدف الثاني الذي سعى أبرهة للسيطرة عليها، أن ترجع الدوافع والأسباب التي من أجلها أقدمه أبرهة على هذه إلى الحملة إلى عدة أقسام.

(أ) دوافع دينية:

إذ تورد روايات المؤرخين المسلمين إن أبرهة كتب إلى نجاشي الحبشة "إني قد بنيت لك كنيسة لم يبن مثلها للملك كان قبلك ولست بمنته حتى اصرف حاج العرب إليها"⁽²⁾ فدافع هنا أن يترك العرب كعبتهم ويتوجه إلى القليس في اليمن هذا فضلاً عن إن كل المصادر العربية حين تتكلم عن أبرهة تصفه "وكان على دين النصراني"⁽³⁾ أما الكتابب التي خلفها أبرهة فقد دلت على نصرانيته فقد كان يبدأ "بخيل (بقوة) ورد أو رحمة الرحمن ومسيحه والروح القدس، سطر هذا المسند أبرهة

(1) الملاح، هشام يحيى، الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الكتب العلمية، (بيروت 2008)، ص 94

(2) الأزرقي، أخبار مكة، ج 1، ص 105

(3) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج 2، ص 129.

عزلي ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنات وأعرابهم في الطود وتهامة⁽¹⁾ لذا فيمكن أن يكون السبب وراء هذه الحملة دافع ديني.

والى ذلك يشير فيليب حتي بقوله "عقد الأحباش النية على تنصير البلاد ومزاحمة مكة الوثنية ومكة يومئذ مركز الحج في أمصار الشمال وموارد الحج غنية عن البيان فهي تعود على أبناء المدينة التي يقصدها الزائرون بخيرات طائلة وترتق منها أيضا كل المدن الواقعة على خطوطه ويخيل لنا إن المشرفين على سياسة البلاد من الأحباش افلحوا فيما نووه من إنشاء مزار ديني في الجنوب تتوارد إليه القبائل وهو يجلب الضرر إلى معبد الحجاز"⁽²⁾ والمقصود بالمزار الديني هنا كنيسة صنعاء المسماة بالقلبي ساما معبد الحجاز فهو بيت الله العتيق الكعبة المشرفة، ولم يكتفي أبرهة ببناء القليس فحسب إنما توج شخصا من العرب يدعى محمد بن خزاعي وأمره على مضر وأمره أن يسير في الناس فيدعوهم إلى حج القليس⁽³⁾.

فيما يشير أحد المؤرخين إلى ذلك يقول "بنى أبرهة بصنعاء بيعة لم يرى الناس مثلها واذن في جميع ارض اليمن أن تحجها"⁽⁴⁾.

ب) دوافع سياسية:

من المعلوم إن الصراع بين الإمبراطوريتين البيزنطية والساسانية كان قائم في ذلك الوقت وإن المدة قد انقضت إلى جبهتين جبهة غربية وجبهة شرقية (والفرس) وذكر أبرهة في النقش الذي تركه أنه استقبل سفراء ست دول فذكر سفير الحبشة (محشكت نجسين) محشكة النجاشي و(محشكت ملك الروم)

(1) بافقيه، تاريخ اليمن القديم، ص 161.

(2) فيليب حتي، تاريخ العرب، ص 98

(3) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج 2، ص 131

(4) الدينوري، الأخبار الطوال، ص 110

محشكة ملك الروم و(رسل مذرّن) رسول المندّر و(رسل حرشم بنجبلت) رسول الحارث بن جبلة و(رسل ابكرب بنجبلت) رسول أبو كرب بن جبلة⁽¹⁾.

إن استقبال هذه الوفود من الأطراف الستة التي كانت تلعب دوراً مهماً في سياسة المنطقة له أهمية كبيرة ويظهر بان أبرهة أصبح له مكانة كبيرة ومهمة ليس في اليمن فحسب بل في السياسة الدولية فيما يعلق الدكتور جواد علي⁽²⁾ على زيارة تلك الوفود بقوله لم يكن مجيء هؤلاء المبعوثين إلى أبرهة لمجرد التهئية أو التسلية أو المجاملة أو ما شاكل ذلك من كلمات مكتوبة في معجمات السياسة ولكن لأُمور أخرى أبعد من هذه وأهم هي جر أبرهة إلى هذا المعسكر أو ذلك وترجيح كفة على أخرى وخنق التجارة في البحر الأحمر أو توسيعها ومن وراء ذلك أما تكبة تحال بمؤسسات الروم وتجاراتهم وأما ربح وآخر يصيبهم وإلى ذلك إشارة الدكتور سهيل زكار⁽³⁾ بقوله "إن غزو أبرهة لمكة كان تنفيذاً للخطة الموضوعة التي ترمي إلى إخضاع شبه الجزيرة العربية للنقوذ البيزنطي ومحاصرة الفرس من الجنوب أيضاً بالإضافة إلى الغرب" ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى ما ذهب إليه الكثير من الباحثين من دور الدولة البيزنطية في دفع أبرهة للتقدم نحو الشمال وتحقيق حلمهم الكبير في بسط نفوذهم على شبه الجزيرة العربية من جهة ومن جهة أخرى لتكوين جبهة عسكرية قوية مؤيدة من الأحباش من ناحية والروم المقيمين في بلاد الشام من ناحية أخرى وذلك للتصدي لأي محاولة فارسية ساسانية تستهدف أمن ومناطق نفوذها التجاري في البحر الأحمر⁽⁴⁾، هذا بالإضافة إلى أن بيزنطة ترى إن احتلال الأحباش للمناطق الشمالية من شبه الجزيرة العربية يضمن لها اشتراك بعض القبائل العربية التي تخضع لها عند سيطرتها على تلك المناطق⁽⁵⁾.

(1) خالد العسلي، دراسات في تاريخ العرب، ص 37

(2) جواد علي، الفصل في تاريخ العرب، ج 2، ص 386

(3) سهيل زكار، تاريخ الوطن العربي القديم، ص 89

(4) عبد العزيز سالم، تاريخ العرب قبل الإسلام، ص 73

(5) جواد علي، الفصل في تاريخ العرب، ج 2، ص 387

ج) الدوافع الاقتصادية:

امتازت مكة بوجود الكعبة المشرفة فيها وهي قبيلة العرب ومزارهم منذ أقدم العصور قال تعالى: ﴿فَجَعَلْنَا أَفْئِدَةً قَائِمِينَ﴾ ⁽¹⁾ النَّاسِ لَتَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْتَقَاهُمْ إِنَّ الثَّمَرَ لَنَافِلُهُمْ لَسَّكَرُونَ ⁽²⁾ أضف إلى ذلك فإن موقع مكة من المواقع الحساسة الرابطة بطرق المواصلات من شمال الجزيرة وجنوبها وبناء على ما تميزت به مكة كان على أصلها أن يتماشوا مع ما فرضت عليهم الحياة لطلب حاجاتهم عن طريق التبادلات التجارية التي شكلت العصب الرئيسي في الاقتصاد المكي آنذاك مما أهلها لأن تكون ذو مركز تجاري ومالي متميز بين سائر مدن الحجاز وتحقق منه لأهل مكة شيئاً من ترف الحياة خلال القرن السادس الميلادي فراد أبرهة أن يسيطر سيطرته في جميع أرجاء الجزيرة العربية لاسيما في ميدان التجارة هذا الميدان الذي برع عرب الشمال في إتقانه حيث أخذت قوافلهم التجارية ترتاد طرق التجارة من الحجاز حتى بلاد الشام من جهة ومن الحجاز حتى اليمن من جهة ثانية وأصبحت مكة لها أهمية كبيرة في النشاط التجاري ⁽³⁾، فعزم على منافسة الحجاز اقتصادياً والسيطرة على المناطق الغربية من الجزيرة العربية والسيطرة أيضاً على البحر الأحمر ومنافذاته والتحكم في المناطق الغربية وتجارتها والاتصال بملوك الغساسنة حلفاء بيزنطة ⁽⁴⁾، ولم يصل إلينا عن هذه الحملة نقوش يمنية مباشرة وصريحة لذا اعتمد الباحثون على روايات الإخباريين التي تناقلوها عن طريق الرواية الشفهية مما جعلها تفتقد إلى الدقة الواجب توافرها في الخبر التاريخي ويبدو من مجمل ما وصل إلينا من أخبار إن الدوافع لهذه الحملة هو دافع سياسي - اقتصادي اتخذ مظهراً دينياً إذ كان أبرهة الحبشي يحرص على السيطرة على طريق تجارة البخور الذي يمتد من جنوب الجزيرة العربية وحتى بلاد الشام ⁽⁵⁾ ولأهمية مكة الدينية لدى

(1) القرآن الكريم، سورة إبراهيم، آية 37.

(2) الشريف، أحمد إبراهيم، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، دار الفكر العربي (القاهرة 1981)، ص 21.

(3) نبيه عاقل، تاريخ العرب القديم، ص 101.

(4) الملاح، الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص 96.

العرب في ذلك الوقت أراد أبرهة أن يبهر انظارهم من خلال بنائه لعبده (القليس)^(١) إذ بالغ في الاعتناء به وتزيينه وإتقانه فنقشه بالذهب والفضة والزجاج والفسيفساء والوان الأصباغ وصنوف الجواهر^(٢)، وكان أبرهة قد اجمع أن يبني القليس حتى يظهر على ظهره فيرى منه بحر عدن وكان قد اخذ العمال بالعمل أخذاً شديداً وكان إلى أن تطلع الشمس على عامل لم يضع يده في عمله فيؤثى به إلا قطع يده فقال فتخلف رجل ممن كان يعمل فيه حتى طلعت الشمس وكانت له أم عجوز فذهب بها معه لتستوبه من أبرهة فاتته وهو بأرز الناس فذكرت له عله ابنها واستوبته منه فقال لا اكذب نفسي ولا أفسد على عمالي فأمر بقطع يده فقالت له أمه اضرب بمعولك ساعي بهر اليوم لك وغدا لغيرك ليس كل الدهر لك فقال أدنوها فقال لها إن هذا الملك سيكون لغيري قالت نعم^(٣).

ويبدو إن الدافع الاقتصادي كان السبب الأساسي المحفز لهذه الحملة ولأجل ذلك حاول أبرهة في بداية الأمر صرف الحج عن مكة فابتنى مزاراً في النيمن بذخ عليه أموال طائلة ليكسب من ذلك فوائد مادية وسياسية وأدبية.

ويقال إن الإمبراطور البيزنطي هو الذي أرسل بالصناع ومواد البناء لبنائها وإن أبرهة استغل أهل اليمن في بناء هذه الكنيسة^(٤) وقد اشتهرت مكة فضلاً عن وجود الكعبة المشرفة بها بالتجارة إذ تميزت برحلتين أحدهما تتجه شمالاً نحو الشام وأخرى جنوباً نحو اليمن والحبشة قال تعالى: (لَا يَلْفُ الْقُرَيْشُ إِلَّا لِيَفْهِمَ)

[١] القليس: سميت القليس لارتفاع بنيانها وعلوها ومنه القلائس لأنها في أعلى الرؤوس ويقال تقلس الرجل إذا ليس القلنسوة، وهي بناء في صنعا لم ير الناس أحسن منها ومما قيل في القليس من شعر هو:
من القليس هلال كلما طلعا
حلو شمائله نوالاً فلاذله
كادت له فتن في الأرض إن تقعا
لما من شدة التهيف فانقطعما
قد شد أقبية السدان وإدرعما
فكانه بطل يسعى إلى رجل
(ياقاوت الحموي: معجم البلدان، ج 4، ص 395).

(1) جرجي زيدان، العرب قبل الإسلام، ص 151

(2) الأزرق، أخبار مكة، ج 1، ص 187.

(3) سهيل زكار، تاريخ الوطن العربي القديم، ص 88

رَحَلَهُ الشِّتَاءُ وَالصَّيْفُ ۖ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذِهِ الْبَيْتَةِ ۚ أَتَدْرِي ۚ أَطَعَمَهُمْ مِنْ جُرْعٍ وَأَمَّنَّهُمْ مِنَ الْخَوْفِ ۚ⁽¹⁾ أي لائتلافهم واجتماعهم في بلدهم امين وقيل المراد بذلك ما كانوا يأفونهم من الرحلة في الشتاء إلى اليمن وفي الصيف إلى الشام في التجارة وغير ذلك ثم يرجعون إلى بلدهم امين في أسفارهم لعظمتهم عند الناس لكونهم سكان حرم الله فمن عرفهم احترامهم⁽²⁾، وإن أول من سن هاتين الرحلتين هاشم بن عبد مناف وإخوته عبد شمس والمطلب ونوفل والتي تذكر الروايات انهم كانوا اصحاب نفوذ وسيادة في مكة على اثر وفاة والدهم فاخذ لهم هاشم عهدا من ملوك الشام والروم وغسان واخذ لهم عبد شمس عهدا من نجاشي الحبشة وعلى ذلك كانت رحلتهم إلى الحبشة واخذ لهم نوفل عهدا من الأكاسرة ملوك الفرس واخذ لهم المطلب عهدا من ملوك حمير⁽³⁾.

ويذكر أهل الأخبار إن هشام أول من شرعه بعقد الاتفاقيات التجارية مع البلدان المجاورة مكة إذ يروى انه صيته ملأ الأفاق فذكر لقيصر فأرسل إليه فلما رآه وسمع كلامه أعجبه وجعل يرسل إليه فقال هشام أيها الملك إن لي قوما وهم تجار العرب فتكتب لهم كتابا يؤمنهم ويؤمن تجارتهم ففعل قيصر ذلك وانصرف هاشم فجعل كلما مر بحي من العرب اخذ من أشرافهم الإيلاف إن يأمنوا عندهم وفي أرضهم فاخذوا الإيلاف من مكة والشام⁽⁴⁾.

وعلى الرغم من سكوت المصادر عن كيفية المفاوضات والمشاورات التي جرت وممرت لهذه المعاهدات (الإيلاف) إلا أنه في الحقيقة إنما يدل على حكمه ومشورات هشام وزعمات أهل مكة في المحافظة على إمدادات قوافلهم وطرق سيرها وتتجلى هذه الثغرى في دار الندوة وهي الدار التي بناها قصي الذي استطاع أن ينتزع السيادة

(1) القرآن الكريم، سورة قريش، آية 1-4.

(2) ابن كثير، تفسير القرآن الكريم، دار ومكتبة الهلال (بيروت 2008)، ج 4، ص 532.

(3) المسعودي، مروج الذهب، ج 2، ص 60.

(4) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج 1، ص 208.

من خزاعة وسميت دار الندوة لأن قريشا يتتدون فيها أي يجتمعون للخير والشر والندى مجمع القوم إذا اجتمعوا⁽¹⁾، لإبرام أمرهم وتشاورهم⁽²⁾، ولا يمكننا أن نضع إحصائية دقيقة بعدد سكان مكة وذلك لأن كتب الأنساب لا تذكر لكل عشيرة إلا أفراد قليلين وبعضهم لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة⁽³⁾، وقد قيل (بالإيلاف) وبمشرعة هشام إشعاراً كثيرة إذ يورد مطرود بن كعب الخزاعي وهو يمر برجل مجاور في بني هاشم وينات له وامرأة في سنة شديدة فخرج يحمل متاعه ورحله هو وولده وامراته لا يؤويه أحد فقال مطرود الخزاعي:

يا أيها الرجل المحول رحلة	هلا نزلت بال عبد مناف
هبلتك أمك لو حلت بدارهم	ضمنوك من جوع ومن أقراف
عمرو العلى هشم الثريد لقومه	ورجال مكة منتسبون عجاف
نسبوا إليه الرحلتين كليهما	عند الشتاء ورحلة الاصطياف
الآخذون العهد في آفاقها	والراحلون لرحلة الإيلاف ⁽⁴⁾

ومن أهم الشخصيات في مكة عبد المطلب بن هشام بن عبد مناف وقد كان حفر يثر زمزم وكانت مطوية فاستخرج منها غز التي ذهب عليهما الدر والجوهر وغير ذلك من الحلي وسبعة أسياف قلعية وسبعة أدرع سوابغ فضرب من الأسياف بابا للكعبة وجعل إحدى الغزالتين صفائح ذهب في الباب وجعل الأخرى في الكعبة وكان عبد المطلب أول من أقام الرفادة والسقاية للحج وجعل باب الكعبة مذهباً وفي ذلك يقول عبد المطلب:

(1) اللؤسي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ج 1، ص 248

(2) الأزرقي، أخبار مكة، ج 1، ص 67

(3) صالح أحمد العلي، محاضرات في تاريخ العرب، ص 107

(4) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج 1، ص 209.

سقى على رغم العدو الكاشح

أعطى بلا شح ولا مشاح

حلياً لببت الله ذي المسارح⁽¹⁾

بعد كنوز الحلي والصفائح

ولقد جعل المكيون للحرم مكانة خاصة ببعدهم عن الصراعات التي كانت تشهدا الجزيرة العربية إلا مما ندر حفاظاً على هيبة مكة وتشجيع الرفادة العربية لها ولقد ساعد أهل مكة على ذلك موسم الحج وما يواكبه من أشهر حرم حيث استغله أهل مكة في إقامة أسواق تجارية حققت لها مكانة اقتصادية مرموقة بين العرب⁽²⁾، ويظهر من كتب التفسير والسير، إن أهل مكة كانوا يسهمون في رؤوس أموال قوافلهم التي يبعثون بها إلى بلاد الشام واليمن وفي الأعمال التجارية الأخرى يسهم أفراد أسرة تجارية واحدة أو جملة اسربل معظم أفراد مكة الأحرار في تلك القوافل كل بحسب نصيبه لينعموا بالأرباح وقد ساعدت هذه الشركة على إعانة أصحاب السهام وعلى مساعدة أهل مكة في رفع مستواهم المعاشي⁽³⁾، وكان أصحاب التجارة يسيرون مع القافلة أو يرسلون شريكاً لهم أو أجيراً أو عبداً على إن القوافل كانت تنظم بصورة أجماعية فيعين لها رئيس وحراس وإدلاء وأناس يعملون فيها هذا إلى عدد من التجار الذين يرافقونها ويمهد لسيورها عادة باتفاقات دبلوماسية مع رؤساء القبائل التي تمر فيها لكي لا تنهب أو يتعدى عليها⁽⁴⁾، وكان لأهل مكة وكلاء تجاريون في أماكن مختلفة مثل غزة والشام ونجران كما كان يأتي إلى مكة تجار أجانب من روموقرس وغيرهم سكنوا فيها وخالطوا أهلها وتحالفوا مع أثريائها وأقام بعضهم فيها لقاء جزية سنوية يدفعونها لهم تأمين حمايتهم ولحفظ أموالهم وتجاريتهم⁽⁵⁾.

(1) المسعودي، مروج الذهب، ج2، ص127

(2) الخضري، محمد بيك، تاريخ الأمم الإسلامية الدولة الأموية، دار الفكر العربي (بيروت 2007)، ج1، ص137

(3) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج7، ص222.

(4) صالح أحمد العلي، محاضرات في تاريخ العرب، ص110

(5) برو، تاريخ العرب القديم، ص240.

المبحث الثاني

حملة أبرهة في الروايات التاريخية

تعددت الروايات الإسلامية حول أسباب قيام أبرهة بحملته على الكعبة المشرفة إلى عدة روايات تتمحور في أغلبها حول الدوافع التي من أجلها جيش أبرهة قواته وعزم على غزو الكعبة فقد تباينت آراء المؤرخين في هذه الحملة معللة إياها إلى عدة أسباب وأول هذه الروايات ما ذكره أصحاب السير⁽¹⁾ والتي تناقلتها معظم المصادر الإسلامية الأخرى عنه وتفيد هذه الرواية إن أبرهة بعد إن أتم بناء القليس كتب للنجاشي بذلك وأخبره بتشيدته لذلك المبنى الفخم وأنه غير منتهي حتى يحول حج العرب إليه بدلاً من الكعبة وإن العرب لما علمت بذلك غضب رجل من بني كنانة فخرج إليها وقعد فيها استهانة بها وتحقيراً لشأنها وعند ذلك غضب أبرهة غضباً شديداً وأقسم على غزو مكة وهدم بيتها لذا عد العدة وجهاز الجيوش للإيفاء بنذره انتقاماً من العرب لما قدموا إليه.

في حين نجد في رواية صاحب أخبار مكة⁽²⁾ إن أبرهة بعد إن فرع من تشيد القليس وعرفت العرب بما ينوي من جعل هذا البناء بديلاً عن كعبتهم وبلغ ذلك رجلاً من النساء من بني كنانة فقام بحث وإرسال رجلين واحدًا بها انتقاماً وانتقاماً من قدرها لدى الناس فلما علم أبرهة بذلك أقسم على أن يهدم البيت الذي بمكة باعتبار أنه مركز دينهم وكعبتهم التي من أجلها أساءوا للقليس.

فيما تشير مصادر أخرى في الرواية الثالثة والتي يوردها الطبري⁽³⁾ في مجمل رواياته وهو يتحدث عن حملة أبرهة، إن العرب لما عرفت بمقصد أبرهة في صرف حجهم عن الكعبة وتحويله نحو القليس في اليمن غضب رجلان أحدهما من

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، ج 1، ص 64

(2) الأزرقي، أخبار مكة، ج 1، ص 141.

(3) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 2، ص 110.

بني فقيم والآخر من بني مالك وخرجا إلى القليس فأحدثا بها استهانة وإصراراً
منهما على إن الكعبة المشرفة هي مقصد حجها وحج جميع العرب.

ونقرأ في الرواية الرابعة التي يوردها الطبري⁽¹⁾ إن بعض زعماء القبائل
العربية وفدت إلى أبرهة بعد أن استقر له الملك في اليمن لمحالفته والاتقاء شره
وكان على رأس هؤلاء محمد بن خزاعي الذكواني السلمي ومعه أخيه قيس، فأمر
أبرهة بتتويج محمد ابن خزاعي على قبيلة مضر على أن تكون الطاعة له وأمره أن
يدعو الناس إلى حج القليس وترك مكة وعندما وصل إلى كنانة وكان قد بلغهم
ذلك الأمر وهم كارهون له فكلفوا رجلاً من هذيل يقال له عروة بن حياض الملاحي
ليقتله فرماه بسهم فقتله وكان أخوه قيس حاضراً للواقعة فهرب ورجع إلى أبرهة
فاخبره بمصير أخيه فزاد أبرهة غضباً على غضب خاصة بعد أن بلغه ما قام به أحد
النساء من تدنيس القليس فأقسم ليغزون بني كنانة ويهدم الكعبة جزاءً لما صنعوا
ومخالفة لأمره.

أما الرواية الخامسة وهي كذلك من مرويات الطبري⁽²⁾ إلا إنها مختلفة
عن سابقتها من المرويات التاريخية لحملة أبرهة إذ تشير إن نضيل الخثعمي هو الذي
قام بتدنيس القليس ووضع الجيف فيه تحدياً لأمر أبرهة بعد أن أوعز بصرف
الحجيج إليه فلما عرف أبرهة بذلك غضب غضباً شديداً وقرر هدم الكعبة وأرسل
إلى النجاشي يستمد منه العون وأرسل إليه فيلاً ضخماً اسمه محمود⁽³⁾.

ومن المعلوم لنا إن نضيل هو من قام بالتصدي إلى أبرهة حين عزم على غزو
الكعبة ولو كان هو من قام بتدنيس القليس وهو شخص معروف لقام أبرهة
بمعاقبته.

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج1، ص114

(2) المصدر السابق.

(3) عبد العزيز سالم، تاريخ العرب قبل الإسلام، ص140

وفي رواية أخرى يوردها المقدسي⁽¹⁾ وهي السادسة إذ يضيف على ما سبق وإن ذكره ابن هشام في الرواية الأولى على إن أبرهة لما علم بما حصل للقليس واقسم بغزو البيت وصادف إن جماعة من العرب كانوا قد أوقدوا نارا لطعامهم بجوار القليس فلما رحلوا زادت الريح من إشعال النار حتى اشتدت وأحرقت هذا البناء فزاد ذلك من غضبه وإصراره على هدم البيت ففي هذه الرواية نجد إن المؤرخين لم يكتفوا بوضع القاذورات في موضع القليس وهي الرواية المتواترة والأكثر شيوعا إنما نجد هنا أنها أحرقت من دون قصد ومن قبل القرشيين أيضا.

أما ما جاء في الرواية السابعة والتي يوردها ابن الأثير⁽²⁾ فهي لا تختلف كثيرا عن سابقتها من المرويات والأحاديث التي احتوتها كتب التاريخ من قيام احد بني فقيم من أهل البيت المراد به من أهل قرش هو من قام بذلك التدنيس حميتاً على دينه بعد أن علم بأمر أبرهة ليحط من قدر هذا البناء الذي شيده أبرهة وأراد أن يصرف إليه حج العرب ويبعدهم عن الكعبة الشريفة في مكة لذا ثار أبرهة وأمر بهدم البيت.

ولم يبعد عن هذا المعنى كثيرا صاحب الرواية الثامنة في تفسيره إذ يشير إن قرشا لما علمت بما عزم أبرهة عليه خرج احد القرشيين إلى القليس ودخلها ليلا فاحدث فيها فلما رأى سدنتها ذلك أخبروا أبرهة فغضب لذلك واقسم على غزو الكعبة ونقضه حجرا حجرا⁽³⁾.

ويقترّب ابن كثير⁽⁴⁾ في روايته التاسعة مع ما ذكره المقدسي في رواية بسنها إلى مقاتل بن سليمان بأن فتية من قرش قدموا إلى القليس ودخلوها وأوقدوا بها نارا وكان الهواء شديدا فاحرقت الكنيسة حتى دمرتها النار وعلى أثرها

(1) المقدسي، البدء والتاريخ، ج 3، ص 186

(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 1، ص 110

(3) ابن كثير، تفسير القرآن الكريم، ج 4، ص 875

(4) ابن كثير، تفسير القرآن الكريم، ج 4، ص 875

خرج أبرهة على رأس جيش كبير للنيل من مكة المكرمة إن هذه الرواية لا تقدم سببا جوهريا لدوافع الغزو إذ أن احتراق الكنيسة أن صح كان بدون قصد إضافة إلى ذلك فإننا نعلم بأن التجارة كانت مزدهرة بين مكة والحبيشة وإن حر كنيسة عن طريق الخطأ لا يعطي مسوغا لإنهاء هذه العلاقة.

وهناك رواية عاشره قد نجد فيها بعض الاختلاف عن الروايات السابقة وهي مروية عن القرطبي⁽¹⁾ عن مقاتل بن سليمان وتذهب إلى أن فتية من قريش كانوا في تجارة إلى الحبيشة وأقاموا على الساحل قرب البحر ويجوار بيعة نصرانية أوقدوا نارا لطعامهم ورحلوا وتركوها مشتعلة ونظرا لقوة الرياح وزيادة لهيب النار اشتعلت البيعة المجاورة، ولما علم التجاشي بذلك غضب غضبا شديدا لما حصل وصادف أن قدم إليه أبرهة ابن الصباح وحجر بن شرحبيل وأبو يكسوم فتعهدوا له إحراق الكعبة ردا لما بدر من القرشيين، وقد عرفهم القرطبي بأن التجاشي هو الملك وأبو يكسوم نديمه وحجر بن شرحبيل أحد قواده ويضيف عن مجاهد أن أبا يكسوم هو أبرهة ابن الصباح حيث خرجوا على رأس جيش كبير يتقدمه فيل ضخمة وقيل ثمانية أقيال حتى وصلوا إلى ذي المجاز⁽²⁾.

وفي الرواية الحادية عشر يذكر الاصمعياني⁽³⁾ إن أبرهة الحبشي كان ملك اليمن وأن ابن ابنته اكشوم ابن الصباح الحميري خرج حاجا فلما انصرف من مكة نزل بكنيسة بنجران فعدا عليه ناس من أهل مكة فاخذوا ما فيها من الحلي واخذوا متاع اكشوم فانصرف إلى جده الحبشي مغضبا فلما ذكر له ما لقيه بمكة تآلا بيمين أن يهدم البيت فبعث رجلا من أصحابه يقال له شمرا مصفود على عشرين ألفا من خولان ونفر من الأشعريين فساروا حتى نزلوا خثعم، إن هذه الرواية لا يمكن

(1) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر،

(القاهرة 1967)، ج 20، ص 193

(2) عبد العزيز سالم، تاريخ العرب قبل الإسلام، ص 193، إذ يقول عن ذو المجاز أنها في الشمال الشرقي من الطائف

بالقرب من عرفة

(3) الاصمعياني، أبو تميم أحمد بن عبد الله، دلائل النبوة (حيدر آباد)، ص 100.

الاعتماد عليها أيضاً وذلك لأنها تفترض إن حفيدة أبرهة كان وثنياً في حين إن كافة النقوش التي تذكر أبرهة تشير إلى أنه كان نصرانياً⁽¹⁾، ويستغرب جواد علي التناقض في هذه الرواية من حيث:

أولاً: كيف تحج ابنة أبرهة إلى مكة وهي محجة وثنية وهو نصراني.

ثانياً: الاختلاف الواضح بين هذه الرواية ومعظم الروايات الأخرى من حيث اكدت على إن أبرهة هو رأس الحملة بينما في الروايات الثانية هو شمر مصفود⁽²⁾.

إلا أنه يمكننا الاستدلال من هذه الرواية على التنافس التجاري بين اليمن وأهل مكة وحدوث بعض التجاوزات على تجار اليمن في مكة أو خارجها فتأثر التجارة مع اليمن.

ورغم كثرة هذه الروايات التي توردتها المصادر التاريخية إلا أننا لا يمكن الأخذ بها كسبب مباشر لحملة أبرهة وذلك لأسباب التالية:

1. إن هذه الروايات لا يمكن الاعتماد عليها كونها لا ترقى أن تكون سبباً مهماً لغزو مكة.
2. إن الديانة النصرانية التي كان يدين بها أبرهة ليس فيها مراسيم حج إلى الكنائس.
3. إن أبرهة لم يستطع أن يفرض النصرانية على أهل اليمن كافة فكيف يريد أن ينشرها خارج بلاده.
4. إن أهل اليمن لم تكن لهم علاقات بالحج إلى مكة لا اعتباراً أن لديهم مزارع في اليمن يسمى بيت رثام.

(1) عبد القادر بافقيه، تاريخ اليمن القديم، ص 202

(2) جواد علي، الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج 3.

ويمكن القول إن تلك الروايات قد دوت شفاهاً وأن من دونها ليسوا معاصرين للحدث، وبالإمكان إجمالاً الأخذ بها لكونها تتفق أبرهة العدائية ضد مكة والمتبلورة في صورة دافع ديني لنشر النصرانية في البلاد العربية جاعلاً من هدم وتدمير بيت الله الحرام نقطة البدء والانتشار في تحقيق تلك الغاية مع الأخذ في الاعتبار إن الأسباب السياسية والاقتصادية هي ذات المغزى البعيد المرمى وراء حملة أبرهة على مكة وهو ما أكد عليه كثير من الباحثين المحدثين بإضافة إلى إشاراتهم عن دور بيزنطة في قيام تلك الحملة الغاشمة على مكة من أجل التصدي للقوة الفارسية في المشرق⁽¹⁾.

(1) سمسم، العلاقات بين شبه الجزيرة العربية، ص 254.

المبحث الثالث

موقف القبائل العربية من حملة أبرهة

تجمع معظم الروايات التاريخية على أن أبرهة هو من قاد حملته تجاه مكة المكرمة وأنه اصطحب معه فيلاً ضخماً اسمه (محمود) بعثه النجاشي إليه للقيام بتلك المهمة وقيل كانوا ثمانية وقيل اثنا عشر فيلاً وذلك لهدم الكعبة بشد جدارها بالسلاسل المشدودة بالأفيال⁽¹⁾، وكان لاستخدام الفيل في هذه الحملة اثر في نفوس العرب حتى أنهم سموها حدوثها بعام الفيل ولا ريب إن كثير من الدول القديمة كانت تستخدم الفيلة إلا أن العرب لم يألفوها من قبل لذا كان لاستخدامها وقع كبير في نفوسهم⁽²⁾، هذا فضلاً عن عديد القوات التي أعدها أبرهة من الأحباش والعرب اليمانيين المنضوين تحت حكمه، ويبدو إن المقاومة العربية المناهضة لهذه الحملة انطلقت هي الأخرى لحظة انطلاق جحافل أبرهة نحو البيت الحرام لهدمه وصرف حج الناس عنه، إذ تشير المصادر أن حذوت المقاومة المسلحة انطلقت من اليمن يقول الازرقى "فسمعت بذلك العرب فأعظموه وقطعوا به ورأوا إن جهاده حق عليهم حين سمعوا انه يريد هدم الكعبة -بيت الله الحرام- فخرج إليه رجل من أشراف اليمن وملوكهم يقال له ذو نضر فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة وإلى مجاهدته من بيت الله سبحانه وما يريد من هدمه وخرابه فأجابه من إجابته إلى ذلك ثم عرض له فقاتله فهزم ذو نضر فأتى به أسيراً"⁽³⁾.

ومن المستغرب أن تحجم كل المصادر العربية عن ذكر تفاصيل هذه المعركة وعن عدد الخسائر في كلا الجانبين ومما يثير الدهشة كذلك هي إصرار هذه المصادر على وصف أبرهة بصفات تتنافى وطبيعة العمل الشنيع الذي أقدم عليه

(1) ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظهر، تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، (بيروت 1996)، ج 1، ص 92.

(2) خالد العسلي، دراسات في تاريخ العرب، ص 50.

(3) الازرقى، أخبار مكة، ج 1، ص 109.

يقول ابن هشام عنه وهو يؤرخ لموقعه ذو نضر بعد إن سقط أسيراً بيد الأحباش وطلب أبرهة الصفع عنه فيقول: "وكان أبرهة رجلاً حليماً"⁽¹⁾ وهذا ما ذهب إليه الطبري حين يسرد الحدث ذاته فيصفه بنفس الوصف⁽²⁾، فيما يقول عنه الأزرقى "وكان أبرهة رجلاً حليماً ورعاً وذا دين في النصرانية"⁽³⁾ ولأجد تفسيراً منطقياً لهذه المقولة والوصف الذي أتى به المؤرخون سوى أنهم كانوا يستعضمون ما كان عليه أهل قريش من عبادة الأوثان والأصنام داخل الحرم الطاهر المقدس، ومهما تكن الأسباب فإن ذو نضر خسر المعركة وهي الأولى التي واجهها جيش أبرهة وهذا شيء منطقي ووفقاً للمعطيات التالية:

1. عدم تكافؤ القوى بين الطرفين.
 2. إن المعركة حسب وصف المؤرخين حدثت في اليمن وإن جل أرض اليمن كانت تدين بالولاء والطاعة لأبرهة.
 3. إن معنويات جيش أبرهة كانت وفق كل الاعتبارات عالية خاصة وإنها تمكنت من هزيمة القبائل العربية من قبل فخربت طرقهم وأساليبيهم في القتال.
- وفي رواية إن ذو نضر خرج مع قومه بالإضافة إلى بعض القبائل العربية الأخرى والذين كانوا يرون محاربة أبرهة واجب عليهم لمنعه من التعرض للبيت الحرام إلا أن تصدي ذو نضر لأبرهة لم يأت بطائل هو ومن معه حيث هزمهم أبرهة واخذ ذو نضر أسيراً عنده⁽⁴⁾.

(1) ابن هشام، سيرة ابن هشام، ج1، ص 30

(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج2، ص 132.

(3) الأزرقى، تاريخ مكة، ج1، ص 109

(4) ابن هشام، سيرة ابن هشام، ج1، ص 30

ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى اشتراك بعض القبائل العربية في حملة أبرهة ضد مكة والذين انضموا إليه أثناء تحركاته ومنهم قبيلتي خولان والاشاعة⁽¹⁾.

وكذلك بنو حميس بن أوين طابخه بن الياس بن مضر التي اشتركت في القتال مع أبرهة⁽²⁾.

بالإضافة إلى اشتراك قبيلة عك وقبيلتي كندة وخندقا⁽³⁾، وإزاء هذه الكثافة العددية فلم يكن ذو نضر بالعائق الصعب الذي يحول دون تقدم قوات أبرهة التي اكتسحته وواصلت التقدم نحو هدفها لاستشعال مركز العرب الديني ونقله إلى صنعاء، إلا أنه هذه الحملة اصطدمت بقوات عربية أخرى مناهضة لمشروع أبرهة الديني يتزعمها هذه المرة نضيل بن حبيب الخثعمي، ومما تجدر الإشارة إليه إن نضيل الجشعمي قد ورد في كتب المؤرخين لاعتباره أنه من قام بتدنيس القليس⁽⁴⁾، فإن صحة هذه الرواية إن نهوضه لمقارعة قوات أبرهة لاعتقاده أنه جاء لإنزال العقاب به، إلا أن المرجح أنه لم تكن له صلة بتدنيس القليس وإن استفادته لبني قومه للتصدي لأبرهة ناتج عن شعور قومي ويدين مرتبط بعبادته ومعتقداته، وتذكر المصادر التاريخية إن نضيل بن حبيب الخثعمي خرج بقبيلته بفرعيها تهران وناهس بالإضافة إلى قبائل عربية أخرى انضمت إليه للتصدي لأبرهة إلا أنه خسر المعركة أسيراً بيد أبرهة⁽⁵⁾ الذي استبقاه حياً، والسؤال المطروح؟ هو في مجريات الواقعة الأولى مع ذو نضر نراهه سقط أسير وقدم فروض الطاعة لأبرهة فعفى عنه ولم يتعرض له بسوء وفي مجريات الواقعة الثانية نرى نضيل بن حبيب يوسر كذلك ويعفوا أبرهة عنه فما هي الدوافع والأسباب التي جعلت أبرهة يصفح عن خصومه

(1) السيوطي، التفسير بالمأثور، ج 6، ص 394

(2) السيوطي، التفسير بالمأثور، ج 6، ص 394

(3) ابن حزم، جمهرة النساب العرب، ص 198

(4) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج 3، ص 520

(5) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج 2، ص 114

ويمكن إرجاع السبب في ذلك لمواجهات دينية لا اعتبار إن سبب الحملة هي لصرف حج العرب عن الكعبة فهذا ما تعرض بسوء لزعامات العرب فمن الممكن أن يسبب مقتلهم مزيد من السخط من قبل العرب على مشروعه الديني.

وواصل أبرهة سيره حتي وصل الطائف خرج عليه مسعود بن مصنّب في رجال ثقياف فقال له أيها الملك إنما نحن عبيدك سامعون لك مطيعون ليس لك عندنا خلاف وليس بيننا هذا بالبيت الذي تريد (يعنون اللات) إنما تريد البيت الذي بمكة ونحن نبعث معك من يدلك فتجاوز عنهم وبعثوا معه أبا رغال خرج أبرهة ومعه أبو رغال⁽¹⁾ واصل مسيرة حتى نزل المقمس وتورد الروايات إن أبا رغال توفي في هذا المكان ودفن فيه وأصبح قبره شاهداً على من خان أبناء عمومته ودينه فرحمته العرب وأصبح مثلاً لمن يقدم على هذا العمل فتحال فيه جرير شعارا يشبه بعزيمة الفرزدق:

إذا مات الفرزدق فارجموه كما ترمون قبر أبي رغال⁽²⁾

في حين يعلل الدكتور خالد العسلي على موضوع خيانة أهل الطائف تعليلاً يبين فيه صفت الخيانة لهم ويورده في هامش كأنه وقد جاء فيه "من الصعب تصديق الروايات التي تشير بأن أهل الطائف ساعدوا على احتلال مكة ويظهر أن هذه الروايات وضعت تكاية بالشخصيات الثقافية التي حكمت لأعراق في العصر الأموي"⁽³⁾.

ولا يمكننا التركون إلى رأي الدكتور العسلي والاطمئنان إلى قوله وذلك لتواتر الروايات التاريخية في هذا الموضوع، إلا أننا يمكن أن نرجع السبب تحامل المؤرخين عليهم وذلك لأن أهل الطائف لم يتصدوا لحملة أبرهة على غرار المناطق

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج2، ص132

(2) المسعودي، مروج الذهب، ج2

(3) خالد العسلي، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص51، هذا الكلام منسكور في الهامش

التي مرت بها تلك الحملة مثل قوم ذو نفر أو قبيلتي شهران وناهس إتباع نضيل بن حبيب الخثعمي، لذا أصبحوا سبه من القبائل العربية الأخرى إذ يورد ابن هشام نقلا عن ابن إسحاق المتوفى سنة 151هـ شعرا ينسب لضرار بن الخطاب الفهري لوقوف بني ثقيف جاء فيه.

وفرت ثقيف إلى لاتها بمنقلب الخائب الخاسر⁽¹⁾

ومن الجدير بالذكر أن نرى موقف بعض القبائل العربية التي ساندت أبرهة في حملته قد تغير حين حطت الحملة رحالها عند المغمس واقتربت من مكة إذ تذكر بعض المصادر إن قبيلتي الأشاعرة وختعم كسرو سيوفهم وأبو الاشتراك مع أبرهة في هدم بيت الله الحرام⁽²⁾.

أما عن أهم الإجراءات التي اتخذها أبرهة وقد أصبح قاب قوسين من مكة فيمكننا أن نجعلها على شكل محورين:

الأول: استخدام أبرهة طريقة الترويع والرعب وذلك من خلال إرساله طليعة من جيشه لإرهاب أهل مكة وتخويقهم وذلك بقيام هؤلاء الجند بالسطو على أموالهم وبهائمهم وجعل على رأس هذه القوة الأسود بن مقصود "وأصاب منها ماأثي بعير لعبد المطلب بن هاشم وهو يومئذ كبير قريش وسيدها"⁽³⁾.

المحور الثاني: لجأ أبرهة إلى طريق المهادنة والمفاوضات لاقتنا عاهل مكة بعدم مقاتلته والحيلولة دونهم ودون الكعبة لهدمها وقد أرسل لهذا الغرض حناطة الحميري وقال له "سل عن سيد أهل هذا البلد وشريفهم ثم قل لهم إن الملك يقول

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، ج1، ص34.

(2) البیهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، ص458، دلائل النبوة، تعليق عبد المعطي قلنجي، دار الكتب العلمية (بيروت 1988)، ط1، ج1، ص120.

(3) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج2، ص133.

لكم اني لم آت لحريككم إنما جئت تهدم هذا البيت فإن لم تعرضوا لي بقتال فلا لا حاجة لي بدمائكم فإن هو لم يرد حربي فأتني به"⁽¹⁾.

والمتتبع لمسيرة أبرهة منذ خروجه من اليمن حتى وصوله إلى مكة يجده انه اتخذ طريق العفو وعدم التعرض للمدن والمدنيين بل حتى الذين خرجوا عليه تجده قد عفى عنهم ويمكن أن نرجع سبب ذلك إلى عاملين:

1. عامل ديني: فلربما أراد أبرهة بذلك أن يثبت إن النصرانية هي دين العفو والسماح أو أراد أن لا يثير مشاعر الكره والضغينة لدى القبائل العربية كي لا تقاطع القليس.

2. عامل اقتصادي: فقد أراد أبرهة إلغاء دور مكة التجاري كوسيط بين التجارة اليمنية التي يسيطر عليها الأحباش وأسواق الجزيرة العربية التجارية التي يؤمها البدو في المواسم⁽²⁾، فعندما دخل بصراع عسكري مسلح معها فإنه يفقد هذه الأسواق وهذا الطريق التجاري.

أما عن موقف أهل مكة من هذا الغزو الحبشي الذي أحاط بهم وأراد تغيير معتقدتهم فقد جاء وحسب الروايات التاريخية متخذاً ثلاث مواقف هي:

الأول: الموقف العسكري:

إذ تشير الروايات التاريخية إلى ناهل مكة عقدوا النية على مقارعة أبرهة ومنازلته واتخذوا كافة الإجراءات العسكرية للحيلولة دون دخول أبرهة البيت الحرام واستنفروا قواتهم وكانت تتكون من القبائل التالية "قريش وكنانة وهذيل ومن كان بذلك الحرم من سائر الناس"⁽³⁾ لقتال أبرهة إلا أنهم أدركوا أنه لا يمكنهم الصمود بوجه هذا الطاغية لكثرة عدد جيشه وعدته.

(1) الأزهري، تاريخ مكة، ج1، ص110

(2) ذبيبة عاقل، تاريخ العرب القديم، ص241

(3) ابن هشام، سيرة ابن هشام، ج1، ص31

ثانياً: دفع جزية:

ويبدو من خلال روايات أهل الأخبار إن أهل مكة حين علموا إن لا قدر لهم على مقاتلة أبرهة اتخذوا قراراً بأن يدفعوا له خراج سنوي مقابل عدم المساس بحرمة البيت وكونوا لذلك وفداً وأرسلوه إلى أبرهة ويتمثل بكل من عبد المطلب وعمرو بن نفيل وهو سيد كنانة وخويلد بن واثلة الهذلي سيد هذيل فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تهامة على أن يرجع عنهم ولا يهدم البيت فأبى عليهم⁽¹⁾ وإصراره على موقفه الرافض لأي حل سلمي.

ثالثاً: إخلاء الكعبة:

ويبدو إن هذا الخيار كان آخر الخيارات التي توصل إليها أهل مكة أمام إصرار أبرهة على مشروعه حيث أمر عبد المطلب أهل مكة الخروج منها واللجوء إلى شغف الجبال والشعاب خوفاً عليهم من أبرهة وجيشه⁽²⁾، وترك الكعبة برعاية الله سبحانه وتعالى.

وقد أسهبت كتب التاريخ في سرد الحوارات والمفاوضات التي جرت بين عبد المطلب وبين أبرهة ومما لا شك فيه فإن فيها الشيء الكثير من المبالغة الغير مبررة ويبدو أن من الأفضل الاعتماد على روايات الإخباريين الأوائل من أمثال صاحب السيرة ابن هشام والأزرقي صاحب أخبار مكة لأن جل المؤرخين الذين جاء من بعدهم اعتمدوا عليهم وأضافوا على ما دونوه هؤلاء وعندما نورد رواية ابن هشام يكتمل عندها الحدث التاريخي لهذه الحملة.

تقدم حناطة نحو مكة وسأل عن سيدها وشريفها فدلوه على عبد المطلب بن هشام بن عبد مناف بن قصي فجاءه وقال له ما أمر به أبرهة فكان رد عبد المطلب عليه والله ما نريد حربه وما لنا بذلك من طاقة هذا بيت الله الحرام وبيت خليله

(1) ابن هشام، سيرة ابن هشام، ج1، ص31

(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج2، ص134

إبراهيم فأن يمنعه فهو بيته وحرمة وإن يخل بيته هو الله ما عندنا من دفع عنه، فقال له حنيفة: فانطلق إلى الملك فانه قد أمرني أن آتية فانطلق معه عبد المطلب مع بعض بنيه، فلما وصل عبد المطلب إلى معسكر أبرهة سأل عن ذو نضر لصداقة بينهم (كما تذكر الرواية) فلما آتاه طلب منه أن يرشده فيما حل به وبأهل مكة فأجابه ذو نضر إجابة الأسير وأرشده على سائس الفيل الذي كان صديقا له وأنه يطلب منه التدخل في الموضوع (وقد أطلقت عليه الرواية اسم أنيس) فلما جاءه قال له ذو نضر يا أنيس إن عبد المطلب سيد قريش وصاحب عير مكة يطعم الناس بالسهل والوحش في رؤوس الجبال وقد أصاب له الملكماتي بعير تستأذن له عليه وانفعه عنده بما استطعت قال افعل واستأذن أنيس لعبد المطلب بن هاشم من أبرهة وأوصفه بنفس عبارات المدح التي كان قد سمعها من ذو نضر وتصف الرواية شخصية عبد المطلب على أنه رجل عظيم وسيم جسيم ذو هيبة في نفوس من يشاهده فما إن قدم على أبرهة حتى أجله وأكرمه وإن أبرهة نزل من على سريره وجلس على بساطه واجلس عبد المطلب بجواره وطلب من ترجمانه أن يسأل عبد المطلب عن حاجته فقال عبد المطلب حاجتي إلى الملك أن يرد علي مائتي بعير أصابها لي فتعجب أبرهة من حاجة عبد المطلب تلك قائلا له من طريق ترجمانه قد كنت أعجبتني حين رايتك ثم زهدت فيك حين كلمتني أتكلمني في مائتي بعير قد أصبتها لك وتترك بيتا هو ديتك ودين أبائك قد جئت لهدمه لا تكلمني فيه فقال له عبد المطلب أنا رب الإبل وإن للبيت ربا سيمنعه قال ما كان ليمنع مني قال أنت وذلك اردد إلي ابلي فرد أبرهة ابل عبد المطلب، وخرج عبد المطلب إلى قريش وأخبرهم بما حصل وطلب منهم الخروج من مكة والحماية في شغف الجبال، وأشد شعرا يصور تلك الحادثة جاء فيه مرددا:

فامنع حلالك

لأهم إن العبد يمنع رحله

ومما لهم غدوا محالك⁽¹⁾

لا يغلبن صليبهم

(1) ابن هشام، الميرة النبوية، ج 1، ص 32

وعندما عزم أبرهة على هدم الكعبة برك الفيل بالمغمس فلم يحرك ونخس بالرماح فلم ينهض ثم بعث الله على الجيش طيرا مع كل طير ثلاثة أحجار فالتقتا عليهم فلم ينج منهم ثغر⁽¹⁾؛ قال تعالى: **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۚ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۚ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۖ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ۖ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ** ⁽²⁾ ومن الغريب أن نجد بعض الباحثين يوعز فشل الحملة بقوته وفشل أبرهة في حملته نتيجة عدم إدراكه لعامل الطبيعة الجغرافية واحتمالات انعكاساته سلبيا على الحملة والجيش فلم يضع في حساباته طبيعة الأرض الصحراوية المتقدم إليها بجحافلها الجرداء وهدت الصحراء جزء من معنويات جنوده واستنزفت طاقتهم وحيويتهم وحمل تغير البيئة الفجائي وتقصان الأغذية الأوبئة والأمراض فانتشر بينهم⁽³⁾.

والكلام في ذلك كثير عجت به كتب المصادر من مؤرخين ومفسرين.

أما عن طريق حملة ذلك الطاغية على مكة فقد يكون أبرهة قد استعمل في طريق حملته تلك على مكة أحد طرق القوافل التجارية القديمة المارة بين جنوب شبه الجزيرة العربية وشمالها والمارة بمنطقة الحجاز خاصة وإنه من الثابت عدم الوصول إلى من الدلائل النصية والأثرية عن حملة أبرهة على مكة والطريق الذي سلكه ومن المرجح إن جيشه قد ترك من صنعاء صوب نجران والتي كانت تشكل محطة رئيسية في تجارة شبه الجزيرة العربية في ذلك الوقت ومن هناك اتجه نحو المناطق الجنوبية الشرقية ومنها إلى الجنوب الغربي حيث لاقى قبائل خثعم التي كانت تسكن في ذلك الوقت مناطق أواسط جبال السروات أي منطقة الباحة ومن هناك اتجه نحو الطائف حيث لاقى ثقيف ومن الطائف نحو مكة عن طريق منطقة السيل أو الطريق القديم إلى مكة حتى وصل إلى منطقة المغمس التي لاقى فيها قدر الله⁽⁴⁾.

(1) التلاذري، أسباب الإشراف، ص 67

(2) القرآن الكريم، سورة الفيل.

(3) ثريا منقوش، سيف بن ذي يزن، دار الحرية للطباعة (بغداد 1980)، ص 33.

(4) سمس، العلاقات بين شبه الجزيرة العربية، ص 235

المبحث الرابع

خروج الأحباش من اليمن

عاد أبرهة إلى اليمن خائباً يجر أذيال الهزيمة والخسران بعد أن تشتت جمعه نتيجة لمجازفته الطائشة الرامية للاستيلاء على مكة فعاد خالي الوفاض بعد إن خسر جند وسطوته وجبروته، وكذلك فقد عجلت هزيمة أبرهة بمكة عمر الوجود الحبشي في اليمن على الرغم من محاولات أبرهة رغم الصلح الذي أصاب الجيش والوجود العسكري والسياسي لهم في جنوب الجزيرة إذ بدء الاقيال والإذواء ينتفضون هنا وهناك في حركات مبعثرة وغير منظمة شكلت بدورها نوعاً من التراكم الكمي للرفض المطلق للوجود الحبشي⁽¹⁾، وهذا التحرك ناتج عن الصورة التي خلفتها تلك الحملة الفاشلة إذ تصف روايات المؤرخين ما حل بأبرهة وجيشه بقولهم إن منهم من هلك سريعاً ومنهم من جعل يتساقط عضواً وهم هابرون فيما انشد نقييل بن حبيب قصيدة يصورها ما حل بهذه القوى الباغية بقوله:

إلا حبيت عنايًا ودينًا نعمناكم متبع الإصباح عينا
ودينه لورايت ولا تهره لدى جنب المحصب ما رأينا
إذ لعنرتني وحمدت أميري ولم تأس على ما فات بيننا
حمدت الله إذا أبصرت طيرا وخفت حجارة تلقى علينا
فكل القوم تسأل عن نقييل كان علي للحبشيان ديناً⁽²⁾

(1) ثريا منقوش، سيف بن ذي يزن، ص 34.

(2) الأزهري، أخبار مكة، ج 1، ص 114.

ويذكر أحد الباحثين إن ما أصاب جيش أبرهة ناتج عن نوع من الطين المختلط بذرات رملية بمقدار حبة العدس حملتها الطيور من منطقة مجاورة في بلاد العرب أو غيرها إلى مكان جيش أبرهة معتمداً على ما ذكره المؤرخ بروكبيوس بظهور الجدري في منطقة بيليوز في سنة 544 م وفي القسطنطينية في سنة 659 م وهذا التاريخ قريب من الوقت الذي ظهر فيه الوباء في جيش أبرهة حول مكة⁽¹⁾، ومن المؤكد إن فشل هذه الحملة أصاب المخطط الحبشي بالفشل ذلك المخطط الرامي للسيطرة على الجزيرة العربية والاستفراد بها ومحاصرة الفرس من الجنوب أيضاً باعتبار إن ولاء الغرب الغساسنة مضمون للبيزنطيين⁽²⁾.

أما ما آلت إليه الأمور في اليمن بعد الحملة فقد جاء في الروايات وكتب التفسير إن أبرهة قد توفي بعد الحملة "أصيب في جسده وخرجوا به معهم يسقط أنملة أنملة وخرجوا به معهم يساقط أنملة أنملة حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر فما مات حتى اتصدع صدره عن قلبه" وفي ذلك يقول الشاعر:

أين المضر والإله الطالب والأشرم والمغلوب ليس الغالب⁽³⁾

وقد تولى الحكم بعد أبرهة ابنه يكسوم فكان "أشر من أبيه وأخبت سيرة قلبت على اليمن تسعة عشر سنة ثم مات"⁽⁴⁾ ولم تبين لنا الروايات التاريخية أسباب موت اكسوم وكذلك فإنه لم يترك من النقوش والآثار ما يمكننا أن نتعرف على طبيعة حكمه.

(1) عبد العزيز سالم، تاريخ العرب قبل الإسلام، ص 76

(2) سهيل زكار، تاريخ الوطن العربي القديم، ص 89

(3) ابن كثير، تفسير بن كثير، ج 4، ص 530، وقد أورد كذلك إن مجموعة من أهل مكة ممن عاصروا الرسول (ص)

قد شاهدوا قسم من جنود أبرهة فقد ذكر رواية تفيد إن السيدة عائشة (رض) قالت لقد رأيت قائد الفيل

وسأله بكعة أعميين مقعدين يستطعمان، وأورد كذلك عن أسماء بنت أبي بكر أنها قالت كانا مقعدين

يستطعمان الناس عند آساف وثاللة حيث ينيح المشركون ذبالهم

(4) البنيوي، الأخبار الطوال، ص 111

وقد تولى الحكم من بعده أخوه مسروق بن أبرهة فاشتدت وطأته على اليمن وعم آذاه سائر الناس وزاد على أبيه وأخيه في الأذى⁽¹⁾ ويبدو أنه نتيجة لهذا الضغط الذي مارسه الأحباش على أهل اليمن فقد حدثت محاولات للتخلص من نير الاحتلال الحبشي البغيض فثاروا مرارا وتكرارا وأخيرا لجئوا إلى التحالف مع دولة الفرس⁽²⁾.

ويبدو أن فكرة الاستعانة بقوى خارجية لتتخذ البلاد من تسلط الأحباش ناتج عن سببين:

1. عدم وجود قيادة موحدة تقود أهل اليمن بشكل موحد مما يؤهلها لإعلان ثورة جماعية يصعب السيطرة عليها وذلك بسبب تحاسد الاقوال وتنافسهم على السيادة والزعامة⁽³⁾.
2. سبق لأحد الاقوال وهو أبي مرة بن ذي يزن إن قام بهذه المحاولة أيام حكم أبرهة إلا أنه فشل في تحقيق حلمه.

وقصت أبي مرة هذا كما يرويها الطبري أنه لما استقام الأمر لأبرهة باليمن بعث إليه فنزع منه امرته (ريحانة ابنة علقمة بن مالك بن زيد بن كهلان) بالقوة وكانت قد أنجبت من أبي مرة ولد اسمه معد يكرب فلما تزوجها أبرهة ولدت له ولدا وبناتا هما مسروق وسياسة⁽⁴⁾.

فما كان من أبي مرة إلا الهرب واللجوء إلى الروم ومضى إلى قيصر يستنجد به فأقام ببابه سبع سنين فأبى أن يستنجد به وقال أنتم يهود الحبشة نصارى وليس في الديانة أن تنصر المخالف على الموافق فمضى إلى كسرى أتوشروان

(1) المسعودي، مروج الذهب ج2، ص80

(2) ديتليف نيلسون وآخرون، التاريخ العربي القديم، ترجمة فؤاد حسنين، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة 1958) ص304.

(3) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج3، ص410

(4) تاريخ الرسل والملوك، ج2، ص130

فاستنجده ومث إليه بالقرابة وسأله النصر فقال له كسرى وما هذه القرابة التي ادليت بها إليك، فقال أيها الملك الجبلية وهي الجبلية البيضاء إذ كنت أقرب إليك منهم فوعده أنوشروان النصر على السودان وانتشل بحروب الروم وغيرها من الأمم ومات أبو مرة⁽¹⁾، ولا نعرف عن أمر أبي مرة هذا شيء آخر سوى هذه الرواية وهل كانت وفاته في زمن أبرهة أم في زمن أولاده علما إن بعض المصادر تذكر إن ملوك الحبشة "كانوا أربعة فجميع ما ملكوا أرض اليمن من حين دخولها إلى قتلوا ثلاثين سنة"⁽²⁾.

أما عن سبب خروج أبي مرة الثاني وهو معد يكرب ابن أبي مرة بن ذي يزن والذي عرف باسم سيف بن ذي يزن ويكنى أبي مرة فقد ذكرت روايات المؤرخين أنه تربى في بيت أبرهة وهو لا يعلم أنه ليس بوالده وفي أحد الأيام سبه ابن أبرهة فقال له لعنك الله ولعن أباك فأتى أمه فقال لها من أبي قالت الأضرم قال لا والله ما هو أبي ولو كان أبي ما سبني فلان فأخبرته إن أباه أبا مرة الفياض واقتصت عليه خبره، فخرج بن ذي يزن قاصدا إلى ملك الروم وتجنب كسرى لإبطائه عن نصرته أبيه⁽³⁾.

وقبل أن نذكر روايات المؤرخين بما تحمله من تفاصيل وسرد عن أهم الانجازات التي قام بها سيف بن ذي يزن نجد من الضروري التعريف بهذه الأسرة من خلال النقوش التي تركها حكام اليمن كشاهد حي عنهم، إذ تبين لنا هذه النقوش إن أسرة "بني ذي يزن" كان لها دور بارز على مسرح الحياة السياسية في اليمن وخاصة في عصر الملك (يوسف أسارىثار) المعروف بـ (ذي يزن) آخر ملوك الدولة الحميرية⁽⁴⁾، حيث عثر على نص دونه القليل (قولن) (شرح أيل يقبل) من بني (يزان) (يزن) يصف فيه معارك الملك ذو نواس ضد الأحباش المتواجدين في بلاده وقد جاء في هذا النص تجمع (أقوام) (بني أزان) وقبائل همدان وأهل مدنه وأعرابهم وأعراب

(1) للمعمودي، مروج الذهب، ج2، ص80

(2) الأزرقي، أخبار مكة، ج1، ص115

(3) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج2، ص144

(4) الأرياني، نقوش مستندية، ص467

(كدت) (كندة) و(مردم) (مراد) و(مذحج) فأنزلت جيوش الملك خسائر بالأحباش الذين كانوا قد تحصنوا بالمصانع والحصون ويمن ساعدهم من القبائل، ويمن كان قد تجمع في (نجران) لمساعدتهم وكان مع الملك وفي جيشه (اقولن) الاقيال (لحييت، يرخم) و(سميفع اشوع) و(شرح بال اسعد) (شرحجيل اسعد) اقيال وسادات (يزان) (يزان) (يزن) ومعهم قبائلهم⁽¹⁾، إذن من خلال هذا النقش نستنتج إن هذه الأسرة كانت من أنصار ومساعدتي ذي نواس وكانت بما تمثله وتتمتع به من ثقل وكثافة عديدة كانت اليد الضاربة لهذا الملك ضد الأحباش والمتعاطفين معهم من أبناء اليمن وكذلك فأننا نلاحظ انه في المرحلة التي تمكن فيها الأحباش من السيطرة على اليمن وتمكنهم من إزاحة حكم ذو نواس وتولى أرياط وأبرهة للحكم في هذا البلد فان دورهم كان دور المعارض لهذه الهيمنة الدخيلة على بلادهم وإنهم اختار الكفاح المسلح في سبيل طرد هؤلاء الغرباء فحين يحصي أبرهة في النص الذي تركه مجموع القبائل التي ساندته يزيد بن كيشة في التمرد الذي قاده ضده يقول (أقول/سبا/اسحرن/مرت/وتمت/وحنشم/ومرثدم/وحنقم/دخل/وازانن/أقولن/مع د كرب/بن/بن/سميفع/وهعن/وأخوتهو/بني/اسلم)⁽²⁾ إذ يذكر أبرهة من هؤلاء اقيال سبا وهم الاساحر وهم مرة وثمامة وحنش ومرشد وحنف ذو خليل و(اليزينون) ثم يذكر منهم الاقيال معد كرب وهعن وأخوته بني اسلم⁽³⁾، إذن فبني يزن كانت من الأسر الكبيرة المعروفة بعدائها لأبرهة.

وأنا لا استبعد إن أبرهة حين أجبر أبو مرة الفياض⁽⁴⁾ على ترك زوجته(*) رغم إن لها منه ولد وقترن بها إلا ليحوز بذلك على نوع من الشرعية من خلال

(1) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج2، ص463

(2) عنان، تاريخ حضارة اليمن القديم، ص369.

(3) بالهقي، تاريخ اليمن القديم، ص160

(4) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج2، ص140

(*) زوجته وهي ربحانة بنت ذي جدن ينظر (ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج1، ص365) وبني جدن من القبائل التي أصبح لها وزن كبير وخاصة في العصرين السبئيين الثالث والرابع والمقر الرئيسي لبني جدن هو وادي حباب بالقرب من صرواح وفي العصر السبئي الثالث أصبح لزعمائهم مقر في صنعاء يمارسون فيه السلطة ويشاركون في الحكم وتوجيه شؤون البلاد، أما في العصر الرابع فقد تعاضلوا نفوذهم حتى أصبحت قيادة (جيش الأعراب) الذي لعب دوراً خطيراً في نهايات الدولة (الحميرية) تكاد تكون حكراً على اقيال (بني جدن) فكانهم يتوارثونها وفي عصر (يوسف اساريتار) سكان لبني جدن ابرز الأدوار السياسية، ينظر: الارياي، نقوش مستندية، ص466.

مصاهرته بهذه الأسرة التي كانت مصدر من مصادر الخطر الذي يهدد ملكه في اليمن، وبالعودة إلى المصادر التاريخية نجد إن سيف بعد إن علم بما حل بوالده قرر السير على خطاه في سبيل التخلص من الأحباش لغايتين:

1. للتأثر لوالده الذي أجبره على ترك موطنه.
2. لما أتمه بحنوه هذه الأسرة من أرت جهادي ضد الأحباش عبر السنين مكان من الطبيعي أن ينهض أحد أفرادها في سبيل إكمال المشروع الثرامي لتحرير البلاد وطرد الأحباش وإعادة الحقوق إلى أهلها.

لذلك نجد إن سيف بن ذي يزن خرج حتى أتى قيصر الروم وهو بانطاكية⁽¹⁾ فشكى إليه ما هم فيه من السودان وسأله أن ينصرهم وينفيهم عن أرضهم ويكون ملك اليمن له فقال له قيصر: أوئلك هم على ديني وانتم عنده أوئان فلم أكن لأنصركم عليهم⁽²⁾، فيما يورد اليعقوبي أنه مكث عند الروم فترة طويلة "فأقم قبله سبع سنين ثم رده"⁽³⁾ بعد ذلك توجه إلى الحيرة حيث النعمان بن المنذر وهو عامل كسرى على الحيرة وما يليها من أرض العرب من العراق، فشكا إليه ما هو فيه من البلاد والذل، فقال له النعمان إن لي على كسرى وفادة في كل عام فأقم عندي حتى يكون ذلك فاخرج بك معي فأقم عنده حتى خرج النعمان إلى كسرى وفرغ من حاجته ذكر له سيف وما قدم له ويسأل هان يأذن له عليه ففعل، فلما دخل عليه سيف بن ذي يزن برك ثم قال إليها الملك غلبتنا على بلادنا الاغربة فقال كسرى أي الاغربة، الحبشة أم السند قال بل الحبشة فجئتكم تنصروني عليهم وتخرجهم عني وتكون ملك بلادي لك فأنت أحب إلينا منهم، قال بعدت أرضك من أرضنا وهي أرض قليلة الخير، إنما بها الشاة والبعر وذلك كما لا حجة لنا به فلم أكن لا ورت جيشا من فارس بأرض العرب، لا حاجة لي بذلك ثم أمر فأجيز

(1) الطماكية، مدينة قرب حلب بينهما يوم وليلة، كانت تصبى العواصم من الثغور الشامية موصوفة بالنازاهة والحسن وطيب الهواء وعتبة الماء وسعة الخير (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 6، ص 316).

(2) الدينوري، الأخبار الطوال، ص 112.

(3) تاريخ اليعقوبي، ج 1، ص 172.

ب عشرة آلاف درهم وكساه كسوة حسنة⁽¹⁾، في حين نجد في رواية أخرى إن سيف حين لم يجد أذنًا صاغية عند الروم ذهب إلى انوشروان ملك الفرس مباشرة فصادف كسرى في أحد الأيام أن يسير في موكب كبير في مملكته فعترضه سيف فقال له إن لي عندك ميراثاً فدما به كسرى لما نزل فقال له: من أنت وما ميراثك قال: أنا ابن الشيخ اليماني الذي وعدته النصرة فمات في بابك، فتلك العدة حق لي وميراث، فرق كسرى له وقال، بعدت بلادك عنا وقل خيرها والملك إليها وعسر ولست أغرب بجيشي وأمر فقال له بمال، فخرج وجعل ينشر الدراهم فانتهبها الناس فسمع كسرى فسأله ما حملة على ذلك فقال لم آتك للمال وإنما جئتكم للرجال، ولتتمنعي من الذل والهون وإن جبال بلادنا ذهب وفضة

الاستنتاجات:

1. لا غنى للبحث العلمي من ترابط كافة المصادر من نصوص تاريخية وآثار مكتشفة وما شبهها من مصادر أخرى للوصول للحقيقة الثابتة.
2. هي يجب إعادة دراسة النصوص التاريخية وربطها بالمستكشفات الأثرية وعدم على علاقاتها.
3. إن حملة الأحباش على اليمن هي احتلال عسكري يستهدف الاستحواذ على خيرات البلاد.
4. إن حملة أبرهة على مكة هي حملة عسكرية لتحقيق أهداف سياسية واقتصادية موطئ بإطار ديني.
5. من خلال هذه الدراسة تبين إن هناك صراع بين القوى العظمى المتمثلة بالإمبراطورية الساسانية والإمبراطورية البيزنطية للهيمنة على المناطق الحساسة في الجزيرة العربية.

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملو، ج2، ص120

6. تبين لنا من خلال هذه الدراسة إن الحضارة العربية في جنوب الجزيرة العربية (اليمن) هي حضارة أصلية مبتكرة وليست متأثرة بالحضارات المجاورة.
7. تبين لنا هذه الدراسة إن مملكة اكسوم في الحبشة قامت على مقومات حضارة اليمنية القديمة فهي حضارة متأثرة بالفكر العربي.
8. من خلال هذه الدراسة وجدنا إن أرض جنوب الجزيرة العربية كانت عرضة لأطماع القوى الكبرى منذ أيام الاسكندر الكبير.
9. من خلال هذه الدراسة نجد إن محاولة الأحباش للاستحواذ على اليمن امتدت منذ مطلع القرن الأول الميلادي إلى أكثر من منتصفه.
10. من خلال هذه الدراسة نجد إن هناك أكثر من ثلاث محاولات فعلية للأحباش على شكل حملات عسكرية منظمة للسيطرة على اليمن هذا ناهيك عن التغلغل الناتج عن الحروب الأهلية.
11. من خلال هذه الدراسة نجد إن الصراع الديني كان لهو دور كبير في تفتيش الحمة القبلية لليمن.
12. إن موقف القبائل العربية منذ إن وطء الأحباش أرض اليمن ولغاية وصولهم إلى مكة كان موقف المدافع عن أرضه المناوئة لهذا الاحتلال.

الخاتمة

من خلال هذه الدراسة المقتضبة (احتلال الأحباش لليمن بين الرواية التاريخية والأثار المكتشفة) نجد إن هناك حقائق ناصعة وجلية غيبتها روايات المؤرخين عن قصد أو غير قصد اضهرتها لنا معاول الاثارين التي ازاحت الغموض وربطت الأحداث بعضها ببعض الآخر ليكتمل لنا الحدث التاريخي، الذي وصل إلينا من وجه واحد فظهر لنا مشوها يحتاج إلى الكثير من الإيضاح فهل يعقل إن تقوم حملة عسكرية من عدة مراكز بطمس وازاحت مملكة ظهرت منذ فجر التاريخ وامتد نفوذها إلى أصقاع واسعة من البلاد وهل يعقل أن يرضخ شعب ابتكر الحضارة واحتكر طرق المواصلات البحرية لدراسته مواسم هبوب الريح وأقام أول سد عظيم لإرواء الأرض أن يخضع لهذا الاحتلال البغيض لذا فقد كانت للتنتقيات الأثرية الأثر البارز في استنطاق هذه الأرض لتروي لنا ما اسطر ابنائها من ملاحم وانجازات بوجه الغزاة وكذلك فقد تبين لنا اثر الصراع الديني ونتائجه على الشعوب وما يسببه من تفتيت لأواصر الحمة الاجتماعية أو ما تولى أصحاب الزعامات فرضه على الناس، هذا ناهيك عن الصراع الخفي للقوى العظيمة في ذلك الوقت المتمثلة بالإمبراطورية البيزنطية والساسانية وما شكلته من قوى ضاغطة لخلق زعامات موالية لها بأمرها لتحقيق مصالحها الاقتصادية والسياسية الرامية للسيطرة واستنزاف القوى الأخرى من خلال أدواتها التي انشأتها ووزعتها في أوطاننا السليبية، أضف إلى ذلك فقد جاء في هذه الدراسة كيفية تكوين ونشوء نوة الحضارة في أرض اليمن من خلال التكوين الأول في تأسيس الممالك العربية اليمينية التي ما انفكت مظرباً للأمثال ليحتذا بها ليس على صعيد الجزيرة العربية وحدها إنما حتى على دول الساحل المطل علىها من الضفة الأخرى التي حدثت حذوها وسلكت طريقها في سبيل نيل الرقي العلي والمعرفي، وكذلك تطرقت هذه الدراسة عن موقف القبائل العربية الأصلية إزاء القوى الطامعة ببلادهم منذ حملة الاسكندر المقدوني مروراً بحملة اليوس جالوس الذي توغل في عمق هذه البلاد فوجد نفسه بين فكي كماشة هذه القبائل التي أرغمته على التقهقر والهروب بعد أن ترك

خلفه أشلاء جيشه الذي ضن أنه لا يقهر، وكذلك موقف هذه القبائل إزاء جبروت وطغيان أبرهة الذي ضن إن شعار الدين الذي تشبث به سوف يحول بينه وبين إرادة أبناء العروبة الذين تصدوا له وأقلقوا مضجعه بما حققوه من انتصار سجلوه بأجسادهم وطرزوه بدمائهم فزاد حمقه وسفهه فضن إن أزاحت البيت الحرام هي من تجلب له السعادة وتضمن له الديمومة والاستقرار لا اعتبار الكعبة ملاذ العرب وحجهم ومركز أطمئنانهم وراحتهم فسعى لنقلها بالقرب منه ليضمن لنفسه الحرمة والاستقرار إلا إن الأمور التي بغير ما تشتهي نزعاته البغيضة فكانت أهدافه وياء عليه أفقدته السلطة والسطوة فذهب مثلاً لكل طامع معتدي.

1. العلي، صالح أحمد/ محاضرات في تاريخ العرب، دار الحرية للطباعة (بغداد) 1983.
2. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت ابن عبد الله الرومي البغدادي، معجم البلدان، دار صادر (بيروت 2010)، ج 5، ص 447.
3. الرازي، أحمد بن عبد الله ت 46، تاريخ مدينة صنعاء، تحقيق حسين بن عبد الله، السهمي، (صنعاء 1981)، ص 5.
4. فيليب حتي، تاريخ العرب، دار الكاشف للنشر (بيروت 1986).
5. بافقيه، محمد عبد القادر، تاريخ اليمن القديم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت 1885).
6. جرجي زيدان، تاريخ العرب قبل الإسلام، المكتبة الأهلية، (بيروت 1965).
7. وهب بن منيه، التيجان في ملوك حمير، مركز الدراسات والأبحاث اليمنية (صنعاء 1979).
8. الماثلوسي، محمود شكري، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، تعليق محمد بهجت الأثري، دار الكتب العلمية (بيروت 2009).
9. توفيق برو، تاريخ العرب القديم، دار الفكر (دمشق 2007).
10. القاسم، يحيى بن الحسين، غاية الأمان في أخبار القطر اليماني، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكتاب العربي، (القاهرة 1968).
11. ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن محمد الجزري، ت 630، الكامل في التاريخ، تحقيق مأمون شيحة، دار المعرفة (بيروت 2007).
12. الطبري، محمد بن جرير، ت 310، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف (القاهرة 1967).

13. المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسن بن علي، ت 346، مروج الذهب ومعادن
الجواهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعارف (القاهرة
1968).
14. الدنيوري، أبو حنيفة أحمد بن داود، ت 282 هـ، الأخبار الطوال، تحقيق عصام
محمد الحاج علي، دار الكتب العلمية، (بيروت 2001).
15. اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب، ت 292، تاريخ اليعقوبي،
تحقيق خليل المنصور، دار الاعتصام (طهران بلا).
16. بحري، محمد عبد الله، تطور نظام الحكم في الجزيرة العربية منذ بداية
العصور التاريخية حتى القرن الثالث قبل الميلاد، أبوظبي للثقافة والأثار
(الإمارات 2007).
17. هشام محمد، الاسكندر الأكبر، دار المشارق، (القاهرة 2008).
18. سمس، عبد المعطي بن محمد، العلاقات بين شبه الجزيرة العربية والحبشة،
أيترك للطباعة والنشر (القاهرة 2008).
19. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، مكتبة جرير (بيروت 2006).
20. الناصري، سيد أحمد علي، الإغريق وتاريخهم وحضارتهم من كريت حتى
قيام إمبراطورية الاسكندر الأكبر، دار النهضة العربية، (القاهرة 1984).
21. نبيه عاقل، تاريخ العرب القديم والعصر الجاهلي، مطبعة جامعة دمشق
(دمشق 1992).
22. يحيى لطيف عبد الوهاب، العرب في العصور القديمة، دار النهضة العربية،
القاهرة 1979.
23. بافقيه، محمد عبد القادر، تاريخ اليمن القديم، المؤسسة العربية للدراسات
والنشر (بيروت 1985).

24. عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسي للدولة العربية، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1960.
25. حسين قاسم، موجز تاريخ العرب والإسلام، مكتبة النهضة، بيروت، 1971.
26. سهيل زكار، تاريخ الوطن العربي القديم، منشورات جامعة دمشق، دمشق، 2003.
27. اغناطيوس غويدي، محاضرات في تاريخ اليمن والجزيرة العربية قبل الإسلام، ترجمة إبراهيم السامرائي، دار الحداثة، بيروت، 1986.
28. طقوش، محمد سهيل، تاريخ العرب قبل الإسلام، دار النفائس، بيروت، 2009.
29. احمد سوسة، تاريخ حضارة وادي الرافدين، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1983.
30. عنان، زيد بن علي، تاريخ حضارة اليمن القديم، دار الآفاق العربية، بيروت، بلا.
31. رشيد الجميلي، تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الكتب للطباعة والنشر، بغداد، 2001.
32. الجرواسمهان، موجز التاريخ السياسي القديم لجوب شبه الجزيرة العربية، دار الفكر، عمان، 1996.
33. عبد العزيز سالم، تاريخ العرب قبل الإسلام، مؤسس الثقافة الجامعية، القاهرة، 1973.
34. احمد فخري، دراسات في تاريخ الشرق القديم، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة (1984) ط41.
35. جورج فضلوا، العرب والملاحاة في المحيط الهندي، ترجمة يعقوب بكر، مكتبة الانجلو المصرية (القاهرة 1986)، ص23.
36. جواد علي، المفضل في تاريخ العرب، ج2، ص351.

37. سبينو موسكاني، الحضارات السامية القديمة، ترجمة يعقوب بكر، دار الرقي (بيروت 1986)، ص 43.
38. بطرس البستاني، دائرة المعارف، دار الكتاب الجديد (بيروت 1393 هـ) ج 2، ص 527.
39. عبد المجيد عابدين، بين الحبشة والعرب، دار الفكر، (القاهرة بلا)، ص 27.
40. الشيخلي، صباح إبراهيم، تاريخ الإسلام في إفريقيا، مديرية مطبعة التعليم العالي (بغداد 1989)، ص 16.
41. ديتليف نيلسن، التاريخ العربي القديم، ترجمة فؤاد حسنين على، مكتبة النهضة (القاهرة 1993)، ص 219.
42. ابن الكلبي، أبي المنذر هشام بن محمد بن السائب، الأصنام، تحقيق احمد زكي، الدار القومية للطباعة والنشر (القاهرة 1965)، ص 110.
43. ابن الشحنة، محب الدين أبي الوليد محمد، روض المناظر في علوم الأوائل والأواخر، تحقيق سيد محمد مهني، دار الكتب العلمية (بيروت 1997)، ص 36.
44. الأزرق، محمد بن عبد الله بن احمد، أخبار مكة، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة 2004).
45. ول ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، ج 2، 4، (مصر 1964) مطبعة لجنة التأليف والترجمة.
46. الخزاغي، دعبل بن علي، وصايا الملوك وأبناء الملوك من ولد قحطان بن هدد، 246، تحقيق نزار أباطله دار صادر، (بيروت 1997)، ط 1.
47. الملاح، هاشم يحيى، الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الكتب العلمية، (بيروت 2008).
48. نامي، خليل يحيى، العرب قبل الإسلام، دار المعارف، (القاهرة 1986).

49. الشيبه، عبد الله حسن، دراسات في تاريخ اليمن القديم، مكتبة الوعي الثوري للطباعة، صنعاء 1999.
50. خالد العسلي، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام..
51. الشريف، احمد إبراهيم، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، دار الفكر العربي (القاهرة 1981).
52. ابن كثير، تفسير القرآن الكريم، دار ومكتبة الهلال (بيروت 2008).
53. الخضري، محمد بيك، تاريخ الأمم الإسلامية الدولة الأموية، دار الفكر العربي (بيروت 2007).
54. القرطبي، ابو عبد الله محمد بن احمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، (القاهرة 1967).
55. الاصبهاني، ابو نعيم احمد بن عبد الله، دلائل النبوة، (حيدرآباد).
56. ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر، تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996.
57. السيوطي، التفسير بالمأثور.
58. ابن حزم، جمهرة انساب العرب.
59. البيهقي، احمد بن الحسين بن علي بن موسى، دلائل النبوة، تعليق عبد المعطي قلنجي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988، ط1.
60. البلاذري، انساب الأشراف.
61. ثريا منقوش، سيف بن ذي يزن، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1980.

Bibliotheca Alexandrina



1503159

دار المستقبل للنشر والتوزيع

عمان - وسط البلد - نول شارع المشجوع

تلفاكس: +96264658263

info.daralmoataqbal@yahoo.com

متخصصون بإنتاج الكتاب الجامعي



دار البهاية للنشر والتوزيع

عمان - وسط البلد

هاتف: +96264640579 - تلفاكس: +96264640579

info.daralbayha@yahoo.com

خبراء الكتاب الأكاديمي